سين تشاي هو ولي هيو سوك

معركة شرسة بين تِنِّين وآخر

وتليها قرية في الوادي الجبلي

ترجمة: كيم جو هي

سين تشاي هو ولي هيو سوك

معركة شرسة بين تِنِّين وآخر

وتليها

قريــة في الــوادي الجبـلي

قصص

كيم جو هي/ مترجمة كورية تعيش في كوريا وتعمل حاليًا أستاذة في قسم اللغة العربية في كلية الدراسات العليا للترجمة بجامعة هانكوك للدراسات الأجنبية، وتترجم الأعمال الأدبية للعربية والكورية.

.....

معركة شرسة بين تِنِّين وآخر

طبعة 2021

رقم الإيـــــداع: 2021/20450

الترقيم الدولي: 978-977-821-222-8

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any from or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر

محمد البعلي

إخراج فني

علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبِّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

This is full translation of two stories (용과 용의 대격전) “The Battle of Dragon with Dragon” author (신채호) “Sin Ch'ae-Ho” and (산협) “A Lone Dell” Author (이효석) “Lee Hyo-seok”.

“This book is published with the support of the Literature Translation Institute of Korea (LTI Korea).”

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE

WWW.SEFSAFA.NET

sefsafapr@gmail.com

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات

49 شارع المخزن- العمرانية- الجيزة- مصر

سين تشاي هو ولي هيو سوك

معركة شرسة بين تِنِّين وآخر

وتليها

قريـــة في الـــوادي الجبـلي

قصص

ترجمة: كيم جو هي

صفصاف
SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،
إدارة الشئون الفنية

سين تشاي هو ولي هيو سوك
معركة شرسة بين تِنِّين وآخر وتليها قرية في الوادي الجبلي: قصص/ سين تشاي هو ولي هيو سوك، ترجمة: كيم جو هي
-الجيزة، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠٢١
١٤٠ ص، ٢٠ سم
تدمك ٨-٢٢٢-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨
١- القصص الكورية
أ- كيم، جو هي (مترجم)
ب- العنوان
٨٩٥,٧٣

رقم الإيداع: ٢٠٤٥٠/ ٢٠٢١

المحتويـــــات

7 | **معركة شرسة بين تنِّين وآخر**

45 | **قرية في الوادي الجبلي**

معركة شرسة بين تِنِّين وآخر

سين تشي هو

1- نزول السيد ميري[1]

إنه ينزل، ينزل. ينزل السيد ميري التنين بمناسبة بدء السنة الجديدة، بدء سنة موجين[2]. ينزل السيد ميري إلى شرق آسيا.

ترتفع أمواج مياه المحيط الهادئ. وتهب العواصف في صحراء منغوليا. تجتمع الغيوم المتلونة فوق قمم جبل تاي باك سان. تعلن كل هذه الأشياء عن نزول السيد ميري.

مع الإعلان عن نزول السيد ميري، رفع كل الناس رؤوسهم في منطقة شرق جبال الأورال. بالطبع يعد الأغنياء والنبلاء أطباقًا مختلفة من الأطعمة الصينية والغربية التي ترضي ذوق السيد ميري، ويحضرون أيضًا كل أنواع الآلات الموسيقية مثل كومونغو وكاياكوم[3] والبيانو لكي ترضي أذنيه. أما الفقراء المساكين العراة الجياع، فإنهم يحاولون أن يعبروا عن ولائهم للسيد ميري، ولكن ليس لديهم شيء يقدمونه إليه سوى أجسادهم العارية. فلا يفعلون شيئًا سوى انتظار نزول السيد ميري بعد أن يصنعوا الخمر بدمائهم المعصورة من أجسادهم، ويحضرون كعك الأرز

1- تستخدم كلمة «ميري» بالكورية بمعنى تنين في بعض المناطق الجنوبية الكورية.

2- تشير عبارة «السنة الجديدة، أي سنة موجين» إلى عام 1928. يسمى هذا العام بـ"موجين" طبقًا لمدار 60 عامًا المتكون من عشرة «كاب» واثني عشر «تي» التي يرمز كل منها إلى حيوان. ويحمل «جين» من كلمة «موجين» معنى تنين. من الجدير بالذكر أن هذه القصة القصيرة صدرت عام 1929.

3- كومونغو وكاياغوم هما من الآلات الموسيقية الكورية التقليدية. لكومونغو ستة أوتار، يبلغ عدد الأوتار للكاياغوم من ثلاثة عشر إلى خمسة وعشرين.

من دموعهم، ثم يضعون الخمر والكعك فقط على سطح مائدة القرابين المهيبة بشكل غير جذاب يثير الحياء.

في الساعة الثانية صباحًا في اليوم الأول من شهر يناير عندما صاح الديك، اقترب السيد ميري راكبًا الطائرة السحابية دون إخطار مسبق. يستقبله الأغنياء والنبلاء وهم يغنون ويرقصون، بينما يبكي الفقراء كلهم ساجدين على الأرض. ويتضرعون إلى السيد ميري باكين:

– يا سيدنا، أيها السيد ميري، نرجوك ألا تجعلهم يفرضون علينا كثيرًا من الضرائب هذا العام، وألا تجعلهم يطلبون منا كثيرًا من المحاصيل الزراعية هذا العام، وألا تجعلنا ندخل السجن هذا العام، وألا تجعلنا نقتل أنفسنا بوضع رؤوسنا على السكك الحديدية بسبب المعيشة القاسية هذا العام، وألا تجعلنا نتجول شحاذين في بلد أو قرية أخريين هذا العام، وأن تجعل XXXX يزدهر هذا العام.

أثناء تضرعهم، يفركون أيديهم باستمرار.

ولكن السيد ميري لم ير سوى ذلك القربان ذي الشكل القبيح والمثير للشفقة دون أن يصغي إلى ابتهالاتهم. وغضب غضبًا شديدًا، وقال:

– أيها الأوغاد! أنتم تسعون إلى السعادة دون إظهار إخلاصكم

لي، إنكم حتمًا يجب أن تموتوا.

بعد أن قال ذلك فتح فمه على مصراعيه.

يا إلهي، هل فمه قرع نولبو[4]؟ يتدفق من فمه مستأجرون وضيعون من كل نوع: إمبراطور على رأسه دلو مليء بالمخلفات، وجنرال يلف نفسه بجلد البقر، وغني ذو جبهة ملساء، وإقطاعي كبير يحمل على ظهره أنبوبًا خيزرانيًّا طويلًا للتدخين، وضابط مسؤول عن الأمن تفوح منه رائحة كريهة وغيرهم. بعد خروجهم من داخل القرع، أخذوا يلتهمون الفقراء جميعًا.

إنهم يعتصرون دم الفقراء ويشربونه، ويقضمون لحومهم، وفي النهاية، يقضمون حتى عظامهم بالأسنان. إذا هرب الفقراء لكيلا يؤكلوا، واجهوا مصيرهم المحتوم من سقوط وابل من الرصاص الذي يشبه المطر ودخول السجن. آه أيها العالم الجهنمي، يا عالم الجحيم... والشعب المسكين...

4- نولبو شخصية في إحدى الحكايات الشعبية الكورية تمثل شقيقًا كبيرًا شريرًا يغرس بذور القرع السحري متوقعًا أنه سيحصل على ثماره التي تحتوي على الذهب والمجوهرات كما حصل عليها شقيقه الصغير الخير. ولكن خلافًا لما توقع، يتدفق من ثماره مختلف الوحوش في نهاية القصة.

2- مأدبة النصر في القصر السماوي، الخوف من الخيانة

نداءات حزينة وصرخات غاضبة من الشعب الذي أوشك على الموت، هزت أصواتها أبواب السماء التسعة حتى استيقظ رب السماء[5] من نومه في دهشة. فأمر رب السماء الملاك بإعلامه بمصدر هذه الأصوات. فأجاب:

- هذه أصوات قتل ميري للشعب الذي يطالب بحقه في البقاء على قيد الحياة.

فقال رب السماء:

- آه.. ميري حقًّا خادمي الحكيم والذكي! إذا اشتدت المطامح فستتحول إلى تمرد، وإذا اشتد التمرد فسيتحول إلى ثورة، لذا يجب أن يقتل الشعب الذي يطالب بذلك. آه.. إن ميري خادم حكيم بالفعل!

ثم يدعو رب السماء ميري ليمنحه ميدالية ويرقيه تقديرًا لقتله للشعب، ويعقد مأدبة النصر في قصر السماء بعد أن يدعو كل الشيوخ الخالدين الذين يعيشون في السماء، وكل الأشباح على الأرض، والملوك والوزراء والأمراء من كل الأجيال السابقة.

5- تمت ترجمة كلمة "sangje" بالكورية إلى رب السماء بالعربية. وتشير هذه العبارة sangje إلى كائن مطلق في الحضارة الآسيوية. وترد هذه العبارة في الكتاب التاريخي المعنون بـ»سامكوك يوسا» الذي ألفه الراهب البوذي في القرن الثالث عشر. حيث يصور sangje ملكًا في السماء يشرف على أمور وأشياء على الأرض مع حواشيه.

بينما يموت الشعب جوعًا في الأرض، يكاد الحاضرون أن يموتوا على المأدبة بسبب انفجار بطونهم في قصر السماء. ينظر رب السماء إلى كل الأشباح الموجودين حوله ممسكًا بطنه قائلًا:

– إن ذلك الشعب السخيف متمرد بطبيعته، فيرفع راية التمرد وقتما شاء، فماذا سنفعل؟ إذا علقنا مدفعًا بحجم الكرة الأرضية في الهواء ليطلق النار عليهم حتى يموتوا جميعًا، فسينتهي الأمر إلى تدمير الكرة الأرضية تمامًا والقضاء عليهم جميعًا، ولن نحصل على قطرة دم واحدة نمصها. ذلك ليس ما نتمناه. إذا منحناهم حريتهم، فإنهم سيرفضون أن نمتص دماءهم، وذلك ليس ما نتمناه أيضًا. ماذا نفعل لكي نزيل طبيعة التمرد تلك عنهم حتى يصبحوا جثثًا حية، فنقضمهم من الرأس حتى أصابع القدم دون أن نقلق، ونأكل جلدهم ونمتص كل ما في داخله، ونلتهمهم من جيل الأب إلى جيل الأحفاد، ومن جيل الأحفاد إلى أجيال تالية؟ قولوا لي اقتراحاتكم.

فقال الملاك:

– ما رأيك في وضع حلقات وحبال في أنوفهم لنجرهم بها ونجلدهم بالسياط مثل الثور؟

– ها ها أنت ساذج! أليست السياسات والقوانين التي وضعناها أكثر قسوة من حلقات الأنوف؟ أليست الأخلاق والآداب أكثر

وحشية من الحبال؟ أليست بنادق الجيش وسيوف الشرطة أسلحة أكثر فظاعة من السياط بمليون مرة؟ على الرغم من كل هذا، فإنهم ما زالوا يخططون للتمرد.

– إذًا، هيا نطلب حضور كل الأطباء لصنع دواء لتخديرهم حتى نلتهمهم دون أن يشعروا بذلك.

– همم.. جربت ذلك بالفعل. لقد أرسلت رجلًا اسمه كونفوشيوس ليؤسس نظرية الشرف والواجب، وقد خدعهم معتمدًا على هذه النظرية: «يجب على الفقراء المتواضعين أن يتقبلوا فقرهم على أنه قدرهم، وأن يخضعوا لأوامر الأقوياء فيمرروا إلى الأجيال التالية سمعتهم كتابعين مخلصين أوفياء»، كما أنني أرسلت رجلين أحدهما شاكياموني والآخر يسوع لكي يخدعاهم بقولهما: «إذا عانيتم من قبل الآخرين وتقبلتم المعاناة دون مقاومة، فإن أرواحكم ستذهب إلى منصة زهور اللوتس في الجنة». أين نستطيع أن نجد مخدرًا آخر أفضل من ذلك؟ منذ أكثر من ألفي عام وأنا أستمتع بآثار هذا الدواء، لكن بعد أن تم استنفاده الآن، أخذ يستيقظ هؤلاء البؤساء، صانعين جلبة بتحدثهم عن التمرد والثورات.

– بما أن اليوم هو العصر الذي يتمتع فيه العلم والأدب بنفوذ قوي، فما رأيك في أن نغري عددًا كبيرًا من العلماء والأدباء لنجعلهم أفواهًا تتحدث من أجل الطبقة الحاكمة من الأغنياء

والنبلاء، فيدافعون عن حقوق الطبقة الحاكمة بنظريات علمية ويمجدون الطبقة الحاكمة في قصائدهم وقصصهم؟

– يا إلهي! لقد قمت بذلك مؤخرًا وشهدت نتائج رائعة. ولكن هناك عدد قليل من العلماء يعصون أوامري ويقفزون بين الجماهير لتشجيعهم على التمرد.

3– الإجراءات القمعية التي وضعها السيد ميري

بعد قلق رب السماء المستمر بشأن روح التمرد الراسخة لدى الشعب على هذا النحو، يتحدث الرب بتنهدات عميقة:

– إن في عالم البشر لا توجد استراتيجية ناجحة تستمر لمدة مئة سنة، فكيف نجد استراتيجية تستمر عشرة آلاف سنة في عالم السماء؟ فلندع السنوات التالية تمر ونحن نشرب الخمور ونأكل اللحوم فقط، ما الفائدة من استمرار القلق؟

ثم يتغنى ببيت من قصيدة ليس بها إيقاعات:

– من يهتم إذا انهارت الحدائق أمام قصر السماء وخلفه؟ من يهتم إذا تشابكت جذور نبات الأوروت تشابكًا عشوائيًّا على جبل مانسو؟

فيتقدم ميري إليه ويقول ساجدًا على الأرض:

– إن جلالتك صاحب الجلالة والكرامة ويحترمك كل البشر المساكين. لماذا تقول مثل هذه الأشياء المشؤومة؟ على الرغم من أن البشر على وجه الأرض يتمتعون بطبيعة متمردة، يمكن أن نخضعهم ونحبسهم إلى الأبد في جحيم حي.

فيقول رب السماء:

– آه! يا ميري أنت صاحب الذكاء والشجاعة. إذا كانت لديك استراتيجية جيدة، أخبرني.

يستأنف ميري قوله:

– يمكن بشكل عام تقسيم سكان العالم إلى قسمين، أحدهما شعوب البلدان القوية، والآخر شعوب البلدان المستعمرة. ما زال لدى الشعوب الأولى روح وطنية بحكم العادة، وقد فهمت بشكل خاطئ أن الدولة تنتمي إلى الطبقة الحاكمة، وأن كسب الوطنية يعني دعم زيادة نفوذ الطبقة الحاكمة، حتى أصبحت وطنيتها وطنية كاذبة. لذلك، إذا منحنا تلك الشعوب أشياء مثل حق التصويت في الانتخابات العامة أو زيادة الأجور، مع تعزيز تلك الوطنية الكاذبة التي تدفعها للتغلب على سكان الأراضي الصغيرة والضعيفة وقمع سكان مستعمراتهم، مما يؤدي إلى اعتبارها نفسها طليعة الطبقة الحاكمة والرأسمالية، ستمتلئ

بطونها الجائعة بهذا الغرور غير المربح، ولن تلاحظ الألم حتى إذا واصلنا مص دمائها لعقود أكثر. وقد تكون درجة الألم التي تعانيها شعوب البدان المستعمرة أكبر بآلاف المرات من آلام الشعوب الأخرى، ولكنها تؤمن بحسن الحظ إيمانًا لا أساس له، حيث ينتظر من يتضور جوعًا حظ وليمة، وينتظر من يتجمد من البرد حظ الملابس الدافئة، ويتمنى من يضع عنقه في حبل المشنقة حظ حياة جديدة. لذا، إن شعوب البلدان المستعمرة لا تتمرد بنجاح، ويسهل خداعها. بينما نسلب منها كل الحقوق والمصالح مثل السكك الحديدية، والمناجم، وحقول الأسماك، والغابات، والحقول الزراعية الخصبة، وحقول الأرز الخصبة، والتجارة، والصناعة، وغيرها. ونستغلها استغلالًا مرعبًا من خلال زيادة الضرائب وزيادة الإيجارات التي تفرض على الفلاحين المستأجرين، فإنه يمكن خداعها بما نزعم: «نحن نهتم بضمان بقائكم على قيد الحياة». كما أن هذه الشعوب تصدقنا منخدعة عندما نقول بعد أن نسمح لهم بإنشاء مؤسسة أو مؤسستين لنشر الجرائد: «استمتعوا بالفوائد الناتجة عن سياستنا الثقافية»، بينما نستخدم السياط والقضبان الحديدية والإبر الخيزرانية والنار والصعقات الكهربائية أو حتى العقوبات الوحشية مثل XXX الذي يصعب نطقه، وفي الوقت نفسه نلجأ إلى استخدام جنود الجيش طرقًا مخيفة مثل قتل النساء وتمزيق أجسادهن، ودفن الأطفال أحياء وذبح قرى كاملة وحرق محاصيل الحبوب.

كما أن هذه الشعوب المستعمرة تنخدع وهي تصدق إعلاننا غير المعقول عن الوحدة بين شعوب تنتمي إلى عرق واحد وثقافة واحدة، ولكننا نفرض قيودًا على مدارسها من أجل القضاء على تعليمها، ونحرمها من استخدام لغتها وحروفها من أجل منع نمو روح الوطنية. وفي الوقت نفسه نجعل شعوب البلدان المستعمرة تنتقل إلى أراضي البلدان المستعمرة لتعيش فيها فلا تجد شعوب البلدان الأخيرة مسكنًا تعيش فيه، ونسعى إلى إهلاك هذه الشعوب بمختلف العقوبات الشريرة والمذابح. ونحرمها من نطق كلمات مثل «تأسيس دولة» و«ثورة» و«استقلال» و«حرية» ونمنع كتابتها حتى تنسى تلك الكلمات تمامًا، ولكنها تصدق ما نقول مثل: «سنمنحكم حقوق الحكم الذاتي». انظر إلى هؤلاء الشباب الذين يمتصون شفاه الطالبات الحلوة في قصص الحب التي أنتجها كتاب الدوائر الأدبية بعد القيام بالطقوس التذكارية لبلادهم التي قد اختفت. كم هم فخورون بعصرهم! ألا تنظر إلى رجال تعرضوا للطرد من بلدانهم المسلوبة ليضطروا إلى أن يعيشوا عمالًا وضيعين في بلدان أجنبية بعيدة، ولكنهم إذا وجدوا مكانًا يرقدون فيه، يتغنون برفاهية وطنهم الثاني؟ ويرحل مناضلو الاستقلال إلى الحزب الشيوعي القوي. وتتمزق ملابس رئيس الحكومة الفقيرة في مسرحياتها. إن خداع شعوب البلدان المستعمرة سهل جدًّا فلا تقلق يا رب السماء. حتى لو تصحو شعوب العالم كلها، فلن يحدث ذلك لدى شعوب البلدان

المستعمرة إلا بعد مرور زمن طويل. إذا التهمنا شعوب البلدان المستعمرة فقط، فلن نواجه أي شيء نقلق عليه خلال العقود القادمة.

بعدما سمع رب السماء كلام ميري، يقول له:

- يا سلام يا ابني.. أنا شرير، ولكنك أشرّ مني.. كيف أستطيع الحفاظ على عرشي من دونك؟

وقد أخذ يربت على ظهره بخفة.

4- يسوع الذي قتل بقسوة لدرجة استحالة القيامة

- جاء دراغون. جاء دراغون. اليوم هو آخر يوم لمملكة السماء.

يا إلهي ما هذا الصوت؟ من أين يأتي هذا الصوت؟ في هذا الوقت الذي يرقص رب السماء فيه مسرورًا بعدما سمع الكلام المطمئن الذي قاله السيد ميري، ما هذا الصوت؟ يطلب رب السماء الإسراع في معرفة مصدره، فتبدأ كل الحاشية الحائرة – منهم ميري- في تفقد كل مكان، ولكنهم لا يرون إلا صوتًا يقول:

«جاء دراغون. جاء دراغون. اليوم هو آخر يوم لمملكة السماء».

يدوي بقوة هذا الصوت من مكان ما حتى تهتز جدران القصر وسقوفه وأبوابه ونوافذه وأعمدته وأرضياته الخشبية وقواعده. فيحضر شاكياموني الذي أسس البوذية في الهند ليتلو كل التعاليم البوذية ومختلف التعاويذ، ولكن الصوت يزداد أكثر فأكثر ويشتد اهتزاز القصر كله. يخاف رب السماء خوفًا شديدًا يدفعه إلى إنهاء المأدبة وإرجاع الحاشية. ثم يسهر مع سيدات القصر بخوف شديد ويجف فمه تمامًا.

كما هو متوقع، في فجر اليوم التالي استيقظ مئات الآلاف من أرواح مدينة السماء من نومهم العميق على صوت يقول: «طبعة خاصة! نسخة خاصة! اشترِ نسخة جديدة!» وجد الملاك -وهو في طريقه للذهاب إلى رب السماء- النسخة الجديدة الذي نشرتها «جريدة مملكة السماء» بمدينة السماء، والتي يعود تاريخ تأسيسها إلى ثلاثمئة ألف سنة.

عنوان الخبر الرئيس مكتوب في أولها بالحروف الكبيرة رقم 1: «يسوع المسيح، ابن رب السماء الوحيد، وذبحه المأساوي»، وبجانبه تكتب بالحروف رقم 2 عبارة «بتحريض دراغون»، ثم يكتب كما يلي:

«عندما ألقى يسوع المسيح، الابن الوحيد لرب السماء، خطابًا عن تعاليم رب السماء في كنيسة في الريف، صرخ الفلاحون بصوت عالٍ: «ابن حرام! ألا يكفيك الابتزاز باسم أبيك خلال ألف

وتسعمئة سنة؟ كيف لا تزال تنبح متنقلًا من مكان إلى آخر حتى اليوم؟»، و»أين وضعت دم شعبنا الذي امتصصته على مدى التسعمئة عام الماضية؟»، «من المؤكد أنك خدعت الغرب كثيرًا بالفعل، لماذا جئت لتخدع الشرق أيضًا؟» و»هل تريد أن تجرب مرة ثانية مسامير الصليب التي قد جربتها في القدس ذلك اليوم؟» ثم هاجم الفلاحون يسوع المسيح بالركلات واللكمات. وفي النهاية ضربوه بمجارفهم ضربات شديدة ليتحول جسده إلى شيء شبيه بالعصيدة، مما أدى إلى قتله بشكل يجعل قيامته مستحيلة. القتلة هم الجماهير، ولكن يقال إن زعيمهم هو دراغون. أما دراغون الوحش فإنه غامض في الأصل. لقد تردد على هذه المنطقة منذ عدة أيام وهو يلعن رب السماء قائلًا: «إنه وغد شرير يستحق شيئًا أسوأ من أن يذبح ويؤكل»، ويستنكر يسوع المسيح ليصفه بـ»وغد أخبث من أبيه»، وينشر بيانًا رسميًّا ذا تسعين بندًا يرد فيه جرائم ارتكبها رب السماء والمسيح. وفي اليوم الذي زارهم فيه المسيح، ارتكب أخيرًا هذه الجريمة الشيطانية، اغتيال المسيح، زعيمًا للجماهير».

كما أن الجريدة ذكرت في مقالتها الافتتاحية تحت عنوان «يسوع المسيح الذي تستحيل قيامته»:

«كان يسوع المسيح الابن القديس، الشرير القاسي بطبيعته تمامًا مثل رب السماء أبيه. حاول نشر تعاليم أبيه منذ ولادته،

ولكنه وقع في الفخ الخسيس الذي وضعه اليهود في القدس عندما تجاوز عمره ثلاثين سنة بقليل. نجح يسوع الذي تم القبض عليه في الهروب حاملًا الصليب على ظهره من اليهود الذين كانوا أغبياء جدًّا في ذلك الحين، وخدع شعوب أوروبا زاعمًا أنه «قام» من الموت، ووحدها تحت راية دينه. بعد الحرب الصليبية، شن يسوع المسيح حروبًا كبرى مثل «الحملات الصليبية إلى الشرق» و»حرب الثلاثين عامًا» حيث تعلم الناس العاديون فنون قتل بعضهم بعضًا. وقال: «مبارك أولئك الذين يعانون، وأولئك الذين يضطهدون»، لينجح في خداع شعوب الأراضي المستعمرة والجماهير البروليتارية بالكلمات المقدسة، وأصبحوا ينسون أعداءهم الحقيقيين ويحلمون بمملكة السماء الزائفة، مما انتهى إلى أنهم يمنحون مختلف الامتيازات للأقوياء والحكام. فستبقى إحسانات يسوع المسيح وإنجازاته الرائعة مسجلة في التاريخ إلى الأبد.

ولكنه في هذه المرة لم يذبح بقسوة فقط، بل استجابت الجماهير الواعية والشباب المتحالفون ضد المسيح اليوم ليقتلوه بالقلم والسيف مرة ثانية، مما أدى إلى قتله تمامًا بشكل تستحيل قيامته مرة ثانية من الآن. إن حالة رب السماء الذي سمع قتل المسيح، ابنه الوحيد، مثيرة للشفقة. باسم من يقوم هؤلاء المسيحيون بالصلاة لرب السماء من الآن؟».

قبل أن يكمل الملاك قراءة نسخة الخبر حتى النهاية، يركض إلى قصر السماء بوجه قد تحول إلى لون ترابي ويقدم النسخة إلى رب السماء بيدين مرتجفتين.

5- ميري ودراغون: شقيقان مختلفا الطبيعة

يحدق رب السماء إلى الملاك الواقف أمامه بصمت كأنه فقد وعيه بعد قراءة تلك النسخة، ثم ينهار بجسده فوق المكتب. فيندفع الملاك إليه ويساعده لينهض ويقول بصوت مختنق:

- يا صاحب الجلالة، في هذه الحالة الطارئة التي تشهد فيها مملكة السماء حدثًا خطيرًا يؤثر على وجودها وانهيارها، ماذا نستطيع أن نفعل إذا سقطت مغمى عليك؟ يا رب السماء، يا ربي...

عندما يحاول الملاك تهدئة روع رب السماء بصوت أجش مختنق، تدخل كل الأشباح والأرواح ابتداء من ميري واحدًا تلو الآخر من أجل مواساة رب السماء.

يرى الملاك ميري ويصرخ له بعينين تشتعلان بالنيران ومليئتين بالغضب، وبوجه قد احمر:

– أيها الحقير يا ميري! ماذا فعلت كونك «راعي الشرق» أو ما شابه ذلك لكي تؤثر على شعوبه؟ كيف سمحت بحدوث مثل هذا الحادث الفظيع، بأن يقتل يسوع المسيح، الابن الوحيد للرب السماوي حتى تستحيل قيامته؟ أيها الوغد! هل تعتقد أن قطع رأسك بالسيف مستحيل؟

ما زال ميري جالسًا مقطب الوجه بصمت مثل أخرس يعاني من آلام سرية بينما ينتقده الملاك ضاربًا جدران قصر السماء بقبضته. عندئذ، يهز قصر السماء من جديد صوت يقول:

– جاء دراغون. جاء دراغون. اليوم هو آخر يوم لمملكة السماء.

يسكت الملاك، فيفتح ميري عينيه على اتساعهما.

وفجأة ينهض من السرير رب السماء الذي قد سقط مغمى عليه.

– دراغون! دراغون! دراغون الذي قد قتل ابني يسوع! أمسك به واجلبه إليّ!

يعطي رب السماء أمره الصارم بنبرة متعجلة. فاحتشدت شرطة السماء وفرق التجسس في مدينة السماء محدثة جلبة كبيرة، ولكن شكل دراغون لا يظهر إطلاقًا، ويسمع الصوت من جميع الاتجاهات فقط: جاء دراغون، جاء دراغون...

على الرغم من كل مجهودات الشرطة وفرق التجسس، لم يتم

العثور على أي دليل حتى تم نشر صورة وتاريخ دراغون في اليوم التالي في «جريدة الشعب»، الصحيفة الوحيدة لعامة الشعب في الشرق والغرب. في الصفحة الأولى، لم يكتب فيها سوى عدد لا يحصى له من رقم «صفر» تحت عنوان «صورة دراغون»، مع شرح بخط صغير حجم 5 مكتوب على يسارها التالي:

«حتى يتم تدمير المملكة السماوية بالكامل، لا يمكن التعبير عن شكل دراغون إلا عن طريق رقم «صفر». إن رقم «صفر» عند دراغون مختلف عن رقم «صفر» في علم الرياضيات. فبينما يوجد مكان خاص بصفر الرياضيات دون أن يكون له وجود في الواقع، فإن صفر دراغون يمكن تحويله إلى كل الأرقام مثل 1 و2 و3 و4 .. حتى عشرة ومئة وألف وعشرة آلاف. بينما يوجد مكان خاص بصفر الرياضيات ولكن ليس له وجود في الواقع، فإن صفر دراغون يمكن تحويله إلى كل أنواع العنف مثل بندقية وسيف ونور وبرق. يوصف دراغون برقم «صفر» اليوم، ولكن ينخفض أعداء دراغون غدًا إلى «الصفر» بحيث إن الإمبراطوريات ومملكة السماء والرأسمالية وغيرها من السلطات الحاكمة ستنخفض إلى «الصفر». عندما تنخفض جميع السلطات الحاكمة إلى رقم «صفر»، ستظهر هوية وشكل دراغون الأصلي أمام أعيننا».

ثم تحت عنوان «تاريخ دراغون» جاء ما يلي:

«من دراغون؟ في السنة الخامسة منذ تتويج رب السماء على

عرش الوجود الأعلى بفضل عبادة الشعب الخرافية في الزمن القديم، ولد مسخان في الهواء، توأمان من مشيمة واحدة، أحدهما دراغون والآخر ميري المشهور، قائد حرس القصر السماوي في الوقت الراهن وحاكم الشرق. فيكتب ميري ودراغون بنفس الحرف الصيني «لونغ (龍)»، (أي تنين بالعربية). ثم ترعرع ميري في جوسون[6] والهند والصين حتى أصبح تنين الشرق في النهاية، وتلقى التعاليم السلبية المتمثلة في الشاكيامونية والكونفوشية اللتين تركزان على أهمية الطاعة ليصبح خادمًا مخلصًا لرب السماء. فقام جميع رجال الدين ومرشدو الأخلاق الذين يرون الطاعة مهمتهم ليلعبوا دور حمامة مغوية للسلطة الحاكمة، بتبجيل ميري وعبادته كإله نموذجي على أرض البشر، مما أدى إلى أن يمدح التنين ويقارن برب السماء في أساطير جوسون والكتب الكونفوشية والكتب البوذية في الهند. فاختار رب السماء ميري ليكلفه بمهمة تحصيل ثروة الشرق. من جانب آخر، بقي دراغون في مناطق الإغريق وروما، وفي النهاية أصبح تنين الغرب الذي صاحب المتمردين والثوريين مستمتعًا بارتكاب أفعال شريرة مثل القيام بثورة وتدمير، مما أدى إلى تلقيب المتمردين والثوريين الرافضين للقيود الدينية والأخلاقية بلقب «دراغون» في تاريخ الغرب. ومع حلول العصر الحديث، سعى دراغون المتأثر بفكرة العدمية إلى ارتكاب أفعال أشد عنفًا،

6- جوسون هو اسم المملكة الكورية في الفترة ما بين عامي 1392 و1910.

وأصبح مذنبًا بقتل يسوع المسيح في النهاية».

اندهش كل حواشي مملكة السماء بعدما قرؤوا هذه الجريدة وعرفوا أن ميرى ودراغون شقيقان.

6- بناء دولة الأرض والذعر في مملكة السماء

عندما قتل دراغون المتمردُ ابنَ رب السماء المحبوب في المنطقة التي يسيطر عليها ميري، ونشرت الدلائل على كون ميري ودراغون شقيقين في جريدة الشعب، بدأ الرأي العام في مدينة السماء يميل إلى الاشتباه بأن ميري من جماعة دراغون، وأصبح رب السماء غاضبًا غضبًا شديدًا على الرغم من أن ميري تابعه المحبوب الذي كان يتولى مهام حاكم الشرق خلال آلاف السنين.

لذا، عزله رب السماء من منصب حاكم الشرق، وعين الملاك بدلًا منه مباشرة في ذلك اليوم، وأعطاه أمرًا صارمًا بالقبض على دراغون وذبح المتمردين.

عندما هم الملاك الذي تلقى الأمر من رب السماء، بالمغادرة بعد إبداء احترامه له أمام السلم الحجري في قصر السماء، دخل

موظف في وزارة الاتصالات في مملكة السماء راكضًا وهو يلهث، ثم قدم رسالة إلى رب السماء وصلت من الأرض. فقرأ رب السماء:

«بعدما قتلت الجماهير على الأرض يسوع، ضربت كونفوشيوس وشاكياموني ومحمدًا وغيرهم من رجال الدين والأخلاق حتى الموت، وحرقت كتبًا سياسية وقانونية وتعليمية وغيرها تدافع عن حقوق جميع الحكام، ودمرت المباني مثل الكنائس والمكاتب الحكومية والمكاتب الإدارية والمباني العامة والبنوك والشركات، ورفضت الأنظمة الاجتماعية السابقة، ثم أعلنت شيوع الملكية العامة لكل شيء في الأرض. حاول أعضاء الطبقة الحاكمة حشد الجنود في محاولة لقهر الجماهير المتمردة، ولكن الجنود ينتمون في الأصل إلى الجماهير، فهربوا عائدين إليها. عرضت مكافأة مالية كبيرة لجمع من الجنود الجدد، ولكن لم يتقدم أحد. لذلك، على الرغم من وجود عدد ضخم من المدافع التي تستخدم في الجبل، والبنادق الميدانية وأسلحة إطلاق النار السريع، لم يتمكن أعضاء الطبقة الحاكمة من إطلاق رصاصة واحدة. فقرروا أن يقاتلوا قتالًا دمويًّا بأنفسهم، ولكن لم يكن عددهم صغيرًا جدًّا مقارنة بعدد الجماهير فقط، بل كانوا غير مستعدين للموت في المعركة بصفتهم أصحاب أموال ونساء أو غيرهم. فهربوا جميعًا إلى قلعة منيعة، حيث حاصرتهم الجماهير وجاعوا حتى الموت دون أن يجدوا شيئًا يأكلونه. مات بعضهم من بين أولئك الذين ماتوا، كان هناك من يمسك بمليون وون بيده. انهارت طبقة

الحكام بالفعل، وقامت الجماهير بتسمية العالم وأطلقت عليه اسم دولة الأرض، وأعلنت عن قطع جميع الاتصالات مع مملكة السماء».

لا يهتم رب السماء بكل ما قد حدث، إلا عبارة «قطع الاتصالات مع مملكة السماء» فهي التي أفزعته أكثر من شيء آخر. لماذا؟ منذ عشرات الآلاف من السنوات الماضية، لم يعمل رب السماء والملاك ومختلف الأرواح في مملكة السماء معتمدين على القرابين والذبائح المقدمة من الأرض.

الآن، تأسست دولة الأرض وتم الإعلان عن قطع الاتصالات، فلن تقدم القرابين ولا الذبائح، مما يعني أن جميع الأرواح ستضطر إلى الجوع حتى الموت. وسيموت رب السماء جوعًا أيضًا.

يظهر رب السماء هذه الرسالة لجميع الأرواح الغاضبة التي تطلب منه أن يصدر أمرا بإبادة الجماهير كلها. ولكن رب السماء يهز رأسه بالنفي.

– عندما آمنت بنا الجماهير، كانت لدينا سلطة عليها، ما القوة التي نمتلكها الآن؟ إذا حاولنا إبادة الجماهير دون وجود سلطة في يدنا، فسوف نتعرض للإبادة. إبادة الجماهير هي كلام فارغ.

بعد سماع كلام رب السماء، خمدت نيران غضبهم مرة واحدة، وقالوا:

– ومع ذلك، فلنرسل مندوبًا إلى دولة الأرض لنتوسل باستئناف الاتصالات وتقديم القرابين والذبائح.

ولكنّ رب السماء ذا الخبرة الكبيرة في أمور الدنيا، يعرف أن الكلام عن القرابين والذبائح لا فائدة منه، ويزيد غضب الجماهير فقط، فيقول إن ذلك غير ممكن.

– إذًا، ماذا نفعل؟ هل نجلس حتى نموت جوعًا؟

يصمت رب السماء لفترة ثم يقول:

– لا يوجد سوى حل واحد. نرسل رسولًا إلى دولة الأرض حالًا يطلب من الجماهير أن تعطينا أوعية مصنوعة من ثمار القرع بعدد سكان مملكة السماء.

– ماذا نفعل بالوعاء؟

يجيب رب السماء دامعًا:

– لا خيار آخر أمامنا إلا أن نزور بيوت الجماهير كل يوم حيث نقف أمام أبواب بيوتها ونقول قارعين الوعاء: أيها الجماهير المحترمة، أعطونا ملعقة من الأرز من فضلكم...

لا يستطيع إكمال كلامه بسبب شعوره بالاختناق.

– كيف يمكن أن... يمكن أن نفعل... ناهيك عن رب السماء.

بعد ذلك تبكي كل الأشباح بكاء شديدًا. لا ترى لعبة بادوك[7] التي لعبها الشيوخ الخالدون، ولا يسمع صوت كومونغو الذي عزفته فتيات السماء. يهتز قصر السماء من جراء صوت البكاء فقط. ما فائدة بكائهم اليوم، وبكائهم غدًا، وحتى بكائهم خلال 365 يومًا؟ وأخيرًا توقف البكاء وتمت الموافقة على الطلب المقترح لأوعية القرع.

7- مغادرة ميري للمعركة وشعور رب السماء بالقلق

- إذًا، من الذي سنرسله مندوبًا لطلب الأوعية؟

عندما سأل رب السماء الأرواح المحتشدة، أجاب الملاك قائلًا:

- ميري هو الأنسب. سمعت أمس من مصدر موثوق أن الجماهير لا تكره مملكة السماء بدرجة كبيرة حتى الآن، ولكن دراغون، عدونا الحقير، كان ينتقل في داخل ذهنها ليغريها للقيام بالتمرد زاعمًا أن جلالتك وحاشيتك والطبقة الحاكمة في عالم الإنسان، يستحيل وجودهم إلا عندما توافق الجماهير على ذلك، فإذا اعترضت الجماهير، ستنهار سلطتنا مثل أوراق الأشجار

7- "بادوك" عبارة كورية تشير إلى لعبة غو. و"غو" عبارة باللغة اليابانية.

التي تتساقط بفعل الرياح في الخريف. يقال إن الجماهير تثق بدراغون اليوم أكثر مما كانت تثق بجلالتك في اليوم السابق. ستعطي الجماهير الأوعية لنا إذا وافق دراغون. وأعتقد أنه من السهل الحصول على موافقة دراغون إذا أرسلنا ميري، شقيق دراغون.

وافق رب السماء على كلام الملاك، ثم استدعى ميري المسجون وأمسكه من معصمه وقال وهو يذرف دموعًا:

- لم أكن حكيمًا لدرجة أنني كدت أقتل خادمًا أمينًا مثلك.

وأخبره تفاصيل الأمر الذي تم الاتفاق عليه بشأن طلب الأوعية، فاعترض ميري قائلًا وهو يبكي:

«لا يمكن. لا يمكن. مستحيل أن أقبل ذلك. أوعية القرع للشحاذين، ليس لرب السماء. إذا طلب الشحاذ ملعقة من الأرز حاملًا الوعاء أمام بيوت الجماهير فستعطيه بدافع الشفقة. ولكنك إذا حملت الوعاء فستضحك عليك وتقول مشيرة بأصابعها: أيها الإله المتسول، أين تركت الكرامة التي كانت لك؟ وستطلب منك: أعد إلينا دمنا الذي امتصصته في الأيام السابقة! وبدلًا من وضع شيء في وعائك ستكسره، ربما حتى جبينك.... سامحني على صراحتي. لا يمكن، لا يمكن. طلب الوعاء أمر يستحيل الموافقة عليه».

- إذًا، ماذا نفعل؟ أريد أن أرمي نفسي أمام مسار السكة

الحديد، ولكنها ليست موجودة في مملكة السماء. ولا أتجرأ على قتل نفسي بسكين.

– إذا فتحت فمي مرة ما، سيخرج منه الملوك والرؤساء والرأسماليون وغيرهم. سأنزل إلى دولة الأرض لكي أفتح فمي من جديد.

– هل تخاف الجماهير من الملوك والرؤساء وغيرهم من الذين يخرجون من فمك؟ ليس لديهم أي سلطة الآن. كان يمكن حدوث ذلك في الأيام السابقة.

– أنزل إلى الأرض لأثير روح الوطنية في قلوب شعوب الدول الكبرى التي تلتهم شعوب الدول المستعمرة، وفي الوقت نفسه أنشر أكاذيب أخدع بها الشعوب المستعمرة، قائلًا إنه سيمنحها الحكم الذاتي والحقوق السياسية لكي تلتهمها شعوب الدول الكبرى، مما يؤدي إلى التقاتل بينهما. وخلال ذلك، سأحاول إعادة بناء نفوذ مملكة السماء.

– هل تظن أن الجماهير المستنيرة ستنخدع بتلك الحيلة؟ هذه أفكار عفا عليها الزمن.

– على الرغم من ذلك، لا يجب عليك أن تحمل الوعاء. على كل حال، سأنزل إلى دولة الأرض لأتجسس على وضعها الراهن ثم سأعود. إذا رأيت أننا نستطيع القتال فسنقاتل، وإلا فسوف نموت

جوعًا ممسكين بعضنا أيدي بعض، ولكن لا يمكن أن نحمل الوعاء.

عندما يركب ميري عربة سحابية بعد تقديم تحية المغادرة إلى رب السماء ويتجه إلى دولة الأرض، يتبعه رب السماء وحواشيه من الملائكة والرجال والنساء الخالدين وأهاليهم جميعًا، قابضين على صدورهم الجائعة حتى يصلوا إلى نهاية السحب حيث يرفعون أيديهم ويصيحون بصوت مختنق: يحيا السيد ميري! بهذه الصيحة يودعون معبرين عن احترامهم لميري الذي يحمل على كتفيه مسؤولية ازدهار دولة السماء وسقوطها.

«السيد ميري؟ كنت في الأيام السابقة وغدًا في دولة السماء وسيدًا في دولة الأرض، وأصبح اليوم سيدًا في دولة السماء ووغدًا في دولة الأرض. كم تغيرت مكانتي في السماء والأرض!» عندما يفكر ميري في هذا، تسيل الدموع على خديه. قبل أن يصل إلى نصف الطريق في الهواء، يندفع الملاك إليه لاهثًا ليقول:

– طلب رب السماء أن تعود إليه. وقال إنه يريد قول شيء لك يا سيد ميري.

فيستدير ميري ليرجع إلى رب السماء. يقول رب السماء:

– لا يجب عليك أن تقهر الجماهير الغاضبة اليوم، بدلًا من ذلك، اطلب منها بلطف مناشدًا مودتها وعقلها. قد يكون كلامي هذا آخر شيء أطلبه منك...

بعدها، يمسك رب السماء يد ميري بقوة. فيقول ميري:

– نعم. لا تخف كثيرًا. سأنزل إلى دولة الأرض وأقوم بكل الأمور بعناية وحذر شديدين.

ثم يعود ليركب العربة بسرعة.

8– أزمة قصر السماء وهروب رب السماء

بعد مغادرة ميري، يبكي رب السماء وكل الأرواح وهم جالسون في قصر السماء. لا يبكون على رحيل ميري، بل على اقتراب انهيار مملكة السماء. لا يبكون على انهيار مملكة السماء، بل يبكي كل منهم على محنته الشخصية.

«كوكغو» أكثر فتاة خالدة يحبها رب السماء، هي أكثر من يبكي بشدة بينهم.

يشعر رب السماء بالشفقة نحوها فيتوقف عن البكاء، ويسمع بعناية صوت «كوكغو». لا تبكي، بل تلعن قائلة:

– جاء دراغون. جاء دراغون . اليوم هو آخر يوم لمملكة السماء.

فيغضب رب السماء غضبًا شديدًا ويقول:

– فتاة حقيرة! ماذا تستفيدين عندما يأتي دراغون؟

ثم يستل سيفه ويقطع رأسها. خسارة يا «كوكغو» المسكينة، يسقط رأسها فتموت. بعد قتل «كوكغو»، يصغي رب السماء إلى صوت بكاء الآخرين ويعرف أنهم جميعًا يقولون مثلها:

– جاء دراغون. جاء دراغون . اليوم هو آخر يوم لمملكة السماء.

– آه، ماذا حدث؟ هل تحول كل الحواشي في قصر السماء إلى خونة وانضموا إلى عصابة دراغون؟

بعد قول هذا يصغي رب السماء إلى صوته وهو يبكي:

– جاء دراغون. جاء دراغون . اليوم هو آخر يوم لمملكة السماء.

ليس صوت بكاء، بل صوت لعنات. فيضطر إلى وقف البكاء ويصدر أمرًا صارمًا:

– إذا وجدت من يبكي في قصر السماء فسأقوم بإعدامه.

وبعد ذلك يقول:

– لماذا قتلت «كوكغو» التي كانت عشيقتي طوال حياتي؟ لماذا لا يأتي خبر من ميري؟ إذا سقطت مملكة السماء ماذا سيحصل لي؟

يغلب الندم والكآبة والآلام على رأس رب السماء حتى يعاني من صداع شديد لا يمكن تحمله. ويدخل صيدلية القصر ماسكًا رأسه

بيديه، لكي يطلب دواء يخفف الآلام. كم هو غريب! على الرغم من عدم وجود أحد يبكي، يرن بشدة صوت يقول:

– جاء دراغون. جاء دراغون. اليوم هو آخر يوم لمملكة السماء.

فيقترب رب السماء من مصدر ذلك الصوت باستغراب وحذر حتى يرى أنه يصدر من زجاجة محلول حمض النتريك. فيخرج السيف ويضرب الزجاجة به، ولكنه لا يستطيع رؤية المحلول، بل إنه يرى سيفًا ناريًّا يخرج من الزجاجة مثل ضوء البرق، وتضرب بذلك السيف العوارض الأفقية والأعمدة والسقوف في قصر السماء، وتنهار قواعد العمود الحجرية حتى يتغير قصر السماء إلى جحيم محترق صادر منه أصوات التصدع والاصطام والانهيار.

يطلب رب السماء استدعاء شبح المطر لإطفاء النيران، ولكنه لا يأتي، وبدلًا منه يأتي شبح الريح مندفعًا وينفخ رياحًا قوية في النيران، فتحرق النيران قصر السماء ومدينة السماء بأكملها. كيف يمكن أن يمتلك النفوذ والقوة بعدما غابت عنه سيادة السلطة؟ غصبًا عنه، يخرج رب السماء من باب القصر هاربًا من النيران، وعندها تجرفه العاصفة وترميه إلى مكان مجهول.

يحاول الملاك إنقاذه، ولكن تحول الرياح القوية بينه وبين فعل ذلك. يصيح الملاك باكيًا:

- هذا هو آخر يوم لمملكة السماء.

ولكن الملاك مخلص لرب السماء، فلا يغير موقفه طبقًا لتغير الوضع. «سأتبع رب السماء في السراء والضراء. سأقوم بالبحث عن رب السماء حتى النهاية حتى لو ذهبت إلى السماء وإلى فوق السماء، وتحت الأرض وتحت العالم السفلي». فيرتدي حذاء من القش بعد لف قدميه بالقماش القطني مثلما يفعل مسافرو مملكة جوسون، ويرتدي ثوب العمل مثل العمال الصينيين، ليتجول في كل مكان باحثًا عن رب السماء.

9- تسول الملاك وتنبؤ الحكيم العراف

فكر الملاك: عليّ الذهاب إلى البلدان الأوروبية والأمريكية التي طالما زارت رب السماء القدير الوحيد، ولكي يبحث عنه، ذهب إلى مدنها المشهورة بما فيها لندن وباريس وروما وبرلين ونيويورك.

ولكنه لم يجد كاهنًا ولا كاثوليكيًّا ولا قسيسًا، ولم يستطع سماع مفردات مثل إمبراطور وملك ورئيس ورئيس وزراء، ولم ير مباني للبنوك والشركات والصناديق الائتمانية، ولم يتبق شيء من العادات والتقاليد كما كانت في الأيام الخوالي. ولكن الملاك لم يهتم إلا بالبحث عن رب السماء، فمر بهذه الأشياء بتعجل دون

إلقاء نظرة جادة إليها، مما جعله لا يفهم الوضع هناك. عندما رأى بولس في القدس، ظن أنه قد يعرف مكان رب السماء كونه مؤمنًا مخلصًا برب السماء، فسأله:

- أين رب السماء يا بولس؟

فأجاب بولس:

- يا أحمق، أنت مجنون حقًّا. هل تبحث عن رب السماء حتى الآن؟

لطمه بولس بشدة فهرب الملاك بخده المتورم.

عندما مر الملاك الذي وصل بكين في الصين، بمعبد السماء الواقع في بستان شجر صنوبر الجوز على بعد ميلين من الباب الجنوبي، جونغ يانغ مين، يجد حشدًا من الناس يشاهد الإمبراطور العظيم الذي يرتدي التاج والرداء الملكي المرسوم عليه رموز التنين، ويقوم بالطقوس لعبادة السماء.

- ها ها! إن الصين بلد عظيم بالفعل. تعيد تأدية الطقوس بعد إعادة بناء المملكة.

يندفع إليهم ويسأل عن رب السماء، فيقول أحدهم:

- أيها الأحمق، توقف عن الحلم! هذه مسرحية تحتفل بيوم الشعب. رب السماء؟ أتتكلم عن رب السماء اللعين؟

بعد قوله هذا، يرفع يده ليلطم الملاك براحة يده المنبسطة. للأسف لا يجد الملاك الذي يقوم بعمله خادمًا مخلصًا لرب السماء فرصة للتعافي من تورم خده.

يتجه الملاك إلى جسر تيان غياو، ويرى حكيمًا كبير السن في الشارع يربط شعره ضفيرة ويرتدي قبعة قماشية خاصة برجال الطاوية، وأمامه طاولة للعرافة عليها ورقة مكتوب عليها ثمانية أحرف صينية معناها: تحصل على إجابة لكل سؤال، ثمنها عشرة عملات برونزية. عندها يفكر: «آه ذلك الحكيم رجل كبير السن نادر. حتى الآن لم يقص شعره، ولا يزال يؤمن بالمثلثات الثمانية للفوشي. إذا كانت عشر عملات كافية لثمن العرافة، سأسأله أين يوجد رب السماء». ثم يتفحص جيوبه، ولكن الجيوب تضحك عليه: «ليس عندك عملة واحدة مقصوصة طرفها، ناهيك عن العملات العشر».

في هذا الموقف لا يستطيع الملاك إلا أن يذرف الدموع.

«عندما وضعت يدي في جيوبي أثناء عملي بجانب رب السماء خادمًا له قبل ظهور دراغون، أخرجت منها كل ما أطلبه من الماس والياقوت والبلاتين والذهب والدولارات الأمريكية والفرنك الفرنسي والعملات الفضية الصينية المرسوم عليها رأس يوان شيكاي، ولكن اليوم ترفض جيوبي إعطاء عشر عملات فقط...».

ولكن الملاك يرغب في سماع نبوءة الحكيم العجوز، فيحني رأسه مبتسمًا بأدب واحترام أمامه ويقول:

- أيها الحكيم الجليل، قل لي ما تتنبأ لي به في المستقبل. أنا حاليًا بلا نقود، ولكن بمجرد حصولي عليها، فسأعطيك ألف عملة أو عشرة آلاف عملة بدلًا من عشر عملات.

- موافق. المال ليس له قيمة في عالمنا الآن، ولكنني لم أتخلص من عادتي القديمة لحب المال فأطلب المال على سبيل المزاح. لذلك لا تهمني النقود. سأقرأ طالعك. عمّ تريدني أن أقرأ؟

قال مترددًا خوفًا من أن يضرب مجددًا إذا ذكر رب السماء:

- نعم.. أريدك أن تقرأ عن سيدي الذي أبحث عنه حاليًا. لا أعرف أين هو...

- هاها.. هل هناك شخص في عالم اليوم يبحث عن سيده؟ إنك خادم مخلص بالفعل.

يهز الحكيم بعد رده عليه علبة العرافة، فيخرج منها اثنتان من عصى الخيزران مكتوب عليهما رموز، فيندهش الحكيم.

- يا إلهي! الرمز الأول يعني السماء التي تدل على رب السماء، والرمز الثاني يعني الهروب. إذًا، أنت الملاك الذي يبحث عن رب السماء الهارب، لست خادمًا يبحث عن سيده.

فيندهش الملاك من قوله. ثم يجثو على ركبتيه ويقول بصوت مهذب:

- قل لي أين رب السماء من فضلك؟

شرح الحكيم معنى الرموز قائلًا:

- يقول رمز العصا الثاني إن «الفأر» في المواقف الصعبة يتحول إلى «التنين»، ليعود ذلك «التنين» ويتغلب على «الفأر». أي إن رب السماء هرب من ثورة التنين (دراغون) ولجأ إلى حفرة الفأر. قالوا قديمًا إن «السماء تبنى في ساعة الفأر»، ولكنني أقول اليوم إن «السماء تنهار في ساعة الفأر». اذهب إلى حفرة الفأر للبحث عن رب السماء.

X X X -10

غادر الملاك المنشغل بالبحث عن رب السماء فور تقديم الشكر إلى العراف. واندهش بشدة وهو في طريقه للعثور على حفرة الفأر عندما رأى ضريحًا غير متوقع مخصصًا لإله التنين.

قال الملاك لنفسه: «السيد ميري موجود هنا نظرًا لأن التنين هو لقب السيد ميري». عند دخول الضريح يجد الملاك ميري هناك

كما توقع، ولكنه ليس «ميري» قديمًا حيث كان يلعب بالرياح والمطر والبرق والرعد، بل إنه مجرد تمثال طيني لميري. أذنه مقطوعة من جسمه، وعيناه مفقودتان وجبهته محطمة. نظرًا لعدم وجود أي طبق من أطباق القرابين، من المؤكد أنه هرب إلى هنا بعد هزيمته من دراغون.

– يا ميري البائس ، كيف يمكنك ترك رب السماء في مكان ما وتأتي إلى هنا بمفردك؟ لا أستطيع أن أنساه فأنا في طريق البحث عنه كما ترى.

يضحك ميري على الملاك الذي يندده تنديدًا شديدًا، قائلًا:

– أيها الملاك الغبي، لماذا تبحث عن رب السماء؟ ليس رب السماء إلا عندما يكون في السماء؛ الآن بعد سقوط قصر السماء، كيف لا يزال رب السماء؟ ولو كان رب السماء، فإنه رب السماء الميت. رب السماء الميت أقل قيمة من فأر حي. بصراحة، أليس سقوط رب السماء من الصواب؟ ألم نكن كلنا –أنا وأنت ورب السماء– نتيجة للخرافات الملفقة من شعب الزمن القديم؟ فكر في الضرر الذي ألحقناه بالجماهير بسبب تلك الخرافات الملفقة. لم يعش رب السماء فقط في الترف، بل إننا جميعًا قمنا بتهديد الجماهير من أجل سلب ثروتها باسم القربان والجزية. ألم نقم بأعمال شريرة كإمبراطور في العالم يزعم بأنه يخضع لأوامر رب السماء؟ ألم يرتكب الأباطرة والرؤساء وأمراء الجيش من مختلف

الدول جرائم قتل عدد ضخم من الشعب باسم رب السماء خلال الحرب العالمية الأخيرة؟ ألم يزعم حتى من احتل بلد غيره وأذاب عظام شعبه المتجول، بأنه يفعل ذلك خاضعًا لأمر رب السماء؟ سقطت اليوم المعتقدات الخرافية كما سقط رب السماء. كيف لا نسقط وقد كنا تابعين له؟ تحولت مليارات من الجماهير إلى قطط، وتحول كل أصحاب السلطة الماضية إلى فئران. اذهب إلى حفرة الفأر إذا أردت البحث عن رب السماء.

ظن الملاك الذي استمع إلى كلام ميري، أنه حقير غير شاكر للجميل. ولكن ما فائدة قول شيء لميري الذي لا يرغب في العودة إلى رب السماء بعد هجره! عند خروج الملاك من باب الضريح للبحث عن رب السماء، يرى الجماهير تجتمع لإبادة الفئران من أجل تجنب حدوث وباء الآفات. عندئذ، يخطر بباله قول الحكيم العراف إن رب السماء موجود في حفرة الفأر، فقال باكيًا:

- يا جماعة، لا تقتلوا الفأر. إنه رب السماء الذي هرب من السماء.

لا تسمع أي إجابة على كلامه إلا صوتًا من كل جهة يقول:

- جاء دراغون. جاء. هذا هو آخر يوم للفئران.

قرية في الوادي الجبلي

لي هيو سوك[8]

8- لي هيو سوك (1907-1942) هو من أهم كتّاب القصة القصيرة الكوريين. وقد كتب أكثر من مئة قصة قصيرة خلال فترة حكم الاستعمار الياباني. ونشرت القصة القصيرة «قرية في الوادي الجبلي» في مجلة أدبية عام 1941.

في اليوم الذي عاد فيه كونغ جيدو مع الملح، صعد أهل القرية واحدًا تلو الآخر إلى الممر الجبلي الضيق الذي يطل على القرية، لكي يروا عودته بفخر وكبرياء. كان ذلك تقريبًا وقت تناول الوجبة الخفيفة الثانية عصرًا، فرغبوا في إراحة أجسادهم المرهقة لفترة قصيرة. فعلى الرغم من أن موطنهم يسمى بقرية، إلا أنه كان مجرد مكان جبلي منبسط لم يكن فيه سوى حفنة من البيوت المتناثرة على سفح الجبل. نهضت الظلال البيضاء واحدًا فواحدًا في حقول الشعير والبسلة المتباعدة، واتجهت إلى حيث تشرف على القرية وكأنها اتفقت على ذلك.

– لقد غادر مع أربعة أكياس من الفول على ظهر ثورين، سوف يجلب كمية كبيرة من الملح.

– إذا تمت مبادلة كيس من الفول بنصف كيس من الملح، فسيحصل على كيسين من الملح. إن كيسين من الملح أثقل من صخرة. أقول لك هذا لأنني حملت مرة كيسًا من الملح في سوق تشانغ مال[9].

– سمعت أن الملح يصنع من مياه البحر. البحر بعيد عنا، فالملح أثمن من الأدوية النادرة. ويتحمل السيد كونغ المتاعب كل سنة.

9- كانت تشانغ مال اسم بلدة في مقاطعة كانغ وون في الجزء الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة الكورية.

في بداية الربيع كان الفلاحون في قرية نام آن ري[10]، يقفون في الطريق بفخر مع أبقارهم التي على ظهورها أكياس من الفول، لكي يذهبوا في رحلة طويلة من أجل الحصول على الملح. ولكن في هذه السنة قرر معظمهم شراء الملح من البلدة القريبة من قريتهم بدلًا من القيام بهذه الرحلة المعتادة، فقام كونغ جيدو وحده بهذه الرحلة. كانت مونماك منطقة نائية نهرية في بلدة أونجو تقع على بعد 300 ري[11] غربًا من قرية نام آن ري. استغرقت الرحلة أربعة أيام كاملة، حيث يجب عبور تلال يانغجو والسير نحو سهول هوانغ سونغ مع قيادة الثور الذي يتحرك ببطء شديد. استغرق عبور تلال يانغجو وحده يومًا تقريبًا، كما أن الطريق فيه كان متعرجًا مثل ثعبان وعميقًا وواعرًا وخاليًا من الناس، فيمكن أن يظهر قاطعو الطريق في المناطق الكثيفة بأشجار البلوط حتى في وضح النهار. وعندما مر الناس بالمكان المتفحم على ضفة الجدول، والذي ترقد عليه شجرة ضخمة متعفنة، همسوا خائفين لدرجة ينتصب معها شعر أجسامهم أن قاطعي الطريق ذبحوا ثورًا وأكلوا لحمه. كانت هناك على ضفة النهر في ميناء مونماك أكياس متراكمة للملح قد أتت من سيول عن طريق نهر هان. وعجت الضفة بالزحمة والصيحات من الفلاحين

10- نام آن ري هو اسم القرية التي ولد فيها لي هيو سوك. وهي قريبة من بلدة تشانغ مال.
11- كلمة «ري» تشير إلى وحدة تقليدية لقياس المسافة. وتساوي عشرة ري أربعة كيلومترات تقريبًا.

الذين وصلوا من القرى الجبلية للتبادلات التجارية. تبادل هؤلاء الفلاحون المشتريات بالفول في معظم الحالات. نقلت كل من المنتجات الجبلية والبحرية التي تم تبادلها في منطقة منبع النهر، إلى الاتجاه المعاكس للاتجاه الذي جاءت منه. عاد كونغ جيدو عبر تلال يانغجو مع ثوره الذي على ظهره أكياس من الملح الذي حصل عليه في الصفقة الناجحة، وعندما رأى قريته في الوادي الجبلي من بعيد، أطلق زفرات طويلة. لقد عانى دائمًا من الإرهاق والمتاعب في طريق هذه الرحلة الشاقة التي تستغرق عشرة أيام ذهابًا وإيابًا، وشعر بالآلام والتعب جسديًّا وروحيًّا. لم تكن مسؤولية إحضار الملح إلى القرية شيئًا سهلًا.

ألقى آن جونغ كون، الذي كان يزيل أعشابًا ضارة في حقل البسلة، مجرفته على الحقل لكي يستقبل خاله، ووصل نازلًا إلى الوادي ليسير مع أهل القرية. وعندها وجد كونغ جيسيل، ابن عم كونغ جيدو الذي ذهب إلى قرية موي ري المجاورة من أجل استقباله، ينزل راكضًا من الممر الجبلي بوجه يدل على بعض من التأثر والحماس.

– سيفاجئكم. مستحيل... هل تعرفون ماذا أحضر جيدو من مونماك وهو يعود من رحلة 300 ري إليها؟

– سيعود مع الأملاح المكدسة على ظهر الثورين، وماذا يحضر سواها؟ ستكون كمية الملح التي تكاد تكسر ظهر الثورين

المسكينين، أكثر مما يحتاج إليه لسنة واحدة.

– كان مع الثورين، الاثنين بلا شك. إذًا، لم بحق السماء يعود مع أحدهما فقط اليوم؟ ماذا قد جرى؟ وهل تعرفون ماذا يوجد فوق ظهر ذلك الثور؟

– هل تريد أن تقول إنه يعود مع جرة ذهبية على ظهره بدلًا من أكياس الملح؟

– جرة ذهبية؟ هراء! إنها جرة طينية تافهة. إنها ليست أحسن من جرة فيها مخلفات. لقد غادر القرية في أكثر الأوقات التي تحتاج فيها الحقول إلى أيدٍ عاملة، وتجول في المناطق الواقعة خارج القرية خلال الأيام العشرة التي مضت. لا أفهم ماذا يدور في ذهن ذلك الغبي..

عندما تساءل أهل القرية ماذا يجعل جيسيل يثرثر هكذا، ظهر من على الممر الجبلي شكل جيدو الذي يهمهم. فحركوا عيونهم من اتجاه إلى آخر قائلين: نعم.. نعم. عندما رأوا جيدو يمشي ببطء ممسكًا مقود الثور الوحيد، لم يتمكنوا من معرفة ما إذا كان شكله فخورًا أم مكتئبًا، ولكنه بدا لهم أنه واثق من نفسه أكثر مما توقعوا، وفاجأتهم امرأة على ظهر الثور الذي كان يقوده. على الرغم من رؤيتهم لها من بعيد، فإنها بدت مهندمة وبيضاء البشرة. مع اقترابها أصبح وجهها واضحًا تدريجيًّا، فبدأ الناس

يثرثرون بصوت منخفض. وعندما رأوه من قريب يكلمها بلطف ناظرًا إليها باستمرار كأنه يطمئنها عرفوا أن جيدو فخور، ليس مكتئبًا. ظهر جزء من كيس الملح الصغير تحت قدمها.

– سمعت أنها امرأته الجديدة. كيف يرغب في الحصول على امرأة ثانية في منتصف الأربعينيات، إنه فقد عقله من الكبر بالتأكيد. سيضحك أهل القرية عليه.

قال جيسيل غاضبًا بنبرة ساخرة وهو ينظر إلى الناس حوله واحد تلو الآخر كأنه يطلب منهم أن يسمعوه باهتمام.

– إذًا، حقق أمنيته أخيرًا. كان يقول مرارًا إنه يريد زوجة ثانية. لا أظن أن ذلك شيء غير معقول، اعتبارًا لكونه رجلًا ليس له أولاد. لا يوجد شيء أكثر حزنًا من عدم وجود ذرية.. هل ستنجب السيدة سونغ؟

أيد العجوز كانغ جيدو لأنه كان رجلًا آخر بلا أولاد، فقال جيسيل الذي لم يعجبه كلام العجوز كانغ:

– يمكن الآن أن تحبل زوجته، حتى لو كانت كبيرة السن على الحمل. ومن يضمن أن تحبل الزوجة الثانية؟ ولو أنجب جيدو ولدًا منها، فهل تعتقد أنه يعيش في هذه الدنيا إلى أن يكبر ولده ويفعل شيئًا ما لأبيه؟

– يا جونغ كون هل أنت سعيد بحضور امرأة خالك الجديدة؟

يمكن لك أن تتزوج هذا العام. احذر.. ستجد صعوبة في التمييز بين زوجتك وزوجة خالك الشابة.

– لا يهمني الكلام الفارغ عن زوجة خالي، ماذا حدث لثوري؟ هل أكل وحده الثور الذي قد ذهب معه؟

لم يكن في البلدة شخص يستطيع أن يباري جونغ كون في مباريات المصارعة. لم يفشل مرة في الفوز بالجوائز في مبارياتها التي تنعقد في عيد دانو كل سنة في قرية تشانغ مال. وأصبح مشهورًا في كل أنحاء الإقليم بعد فوزه على أحد الثيران في السنة الماضية. كان خاله قد غادر مع ذلك الثور الذي اقترضه من جونغ كون بعد أن رجاه كثيرًا أن يستعيره. والآن رأى جونغ كون خاله قد عاد فارغ اليدين.

– هل بادل عروسه الجديدة بالثور؟ مستحيل! ألا تعرفون ماذا يعني ذلك الثور لي؟ كان صديقي، ونام بجانبي، وركبت على ظهره.. أين هو الآن؟ في أي مكان يشتاق إليّ الآن؟

– راقب فمك! لن أسمح لك بالاستخفاف بزوجة خالك على ذلك النحو. الثور لا شيء. يمكن أن تفوز بثور آخر في مباريات المصارعة المقبلة. متى ستكون رجلًا عاقلًا؟

بعدما تعرض جونغ كون لتلك الانتقادات صمت باستسلام. بينما تبادل خاله الحديث مع الناس، ألقى جونغ كون نظرة سرية

إلى جهة ظهر الثور ليشعر بأن شيئًا ما يتلألأ عند رؤية العروس التي تشبه كرة زجاجية صافية، مما جعله يوجه عينيه إلى جهة الأرض بشكل تلقائي. تساءل جونغ كون كيف تكون تلك العروس الشابة امرأة خاله، بعد ذلك التساؤل غير المفهوم غمره القلق والحيرة، ثم أدرك أنه إذا لم يخبر السيدة سونغ، زوجة خاله بهذا الأمر بسرعة فستكون مصيبة. فخرج من حشد الناس ليسرع إلى البيت.

كانت السيدة سونغ تنسج في الغرفة بالفناء الخلفي. عندما سمعت الخبر من جونغ كون بدت مصدومة، ولكنها نظرت في لحظة إلى ابن أخت زوجها، جونغ كون، بوجه طبيعي. ثم قالت:

- كان خالك معتادًا على إهانتي وهو يناديني ببقرة عقيمة.. بقرة عقيمة. وأخيرًا جاء مع امرأة. من يعرف ما إذا كنت عقيمة أم كان خالك عاجزًا؟ ليست رغبتي في إنجاب ابن أقل من رغبته. مع أنني أبذل أقصى جهدي لكي أحمل، لا تسمح لي ربة الخصوبة بتحقيق أمنيتي. عندما يأتي اليوم الذي تلد فيه الزوجة الثانية ابنًا، سأضطر إلى مغادرة هذا البيت... سمعت أن النساء من تلك المنطقة الجنوبية جميلات.

- لا يمكن أن أصدق وجود مثل تلك المرأة الجميلة في هذه الدنيا. إنها بيضاء مثل القمر..

– هيا نخرج لرؤيتها.. أنا خائفة أن يوبخني خالك على عدم استقبالهما.

ابتعدت السيدة سونغ عن دولاب الغزل وهي تتنهد، وعندما وصلت إلى الفناء الأمامي حركت والدة زوجها العجوز التي كانت تغزل القنب، فمها لتسأل ماذا يحدث. شرح لها جونغ كون ما حدث بصوت عالٍ، ولكن العجوز المصابة بالخرف لم تفعل إلا أن تحرك يديها من جانب إلى آخر بشكل يائس؛ لأنها لا تسمع ولا تتكلم.

عندما رأت السيدة سونغ الموكب الذي ينزل على الممر بين حقول الأرز، أحست بشيء يتلألأ، فوجهت عينيها إلى جهة الأرض. بدت هيئة العروس الجالسة على ظهر الثور مستقيمة وعالية، بينما كان زوج السيدة سونغ وأهل القرية تحت قدميها يتبعونها مسترقين النظر إليها من حين لآخر. عندما سمعت السيدة سونغ ثرثرة الناس الصاخبة وسط صوت الجرس المعلق في عنق الثور ظنت أنه مثل موكب للزفاف. لم يصنعوا ضجة وصخبًا في يوم زفافي بقدر ما يفعلون الآن.. كنت جالسة فقط بعينيّ المغلقتين في عربة العروس الصغيرة، ولا أعتقد أنني كنت متباهية مثلها. أثناء تمتمة السيدة سونغ مع نفسها، كان جونغ كون غارقًا في تذكر حدث السنة الماضية، ويقول لنفسه: هل صنعوا مثل تلك الضجة والصخب عند عودتي بعد فوزي بالثور في مباريات

المصارعة؟ لم تكن هناك سوى جماعة من شباب القرية تتبعني مثرثرة، ولم أكن واثقًا من نفسي مثلها. عندما رأت السيدة سونغ بعينيها العروس تقترب منها متمايلة على ظهر الثور تحت أشعة الشمس الدافئة المنعكسة عليها، أدركت أنه ليس حلمًا، بل واقع، ثم شعرت بدوار.

في اليوم التالي اجتمعت نساء القرية كلهن في بيت جيدو من أجل إعداد حفلة الزفاف. كان الفناء والمطبخ والغرف مليئة بعدد كبير من الناس الذين لا يمكن معرفة أين كانوا مختبئين في القرية التي يتناثر فيها عدد قليل من البيوت. مع أن الحفلة لم تكن رائعة بسبب إعدادها باستعجال، أكلوا أطباق المعكرونة وكعك الأرز مسرورين، وشرب الرجال خمر الأرز، وعندما سكروا من الشراب أخذوا في التحدث بصخب عن العروس الشابة. كانت السيدة سونغ منشغلة بالعمل وهي تحافظ على ملامح وجهها الطبيعي، وكأنها تخلصت من آثار الدهشة والتنهدات التي عانت منها في اليوم السابق. لم يكن ممكنًا لنساء القرية أن يتحدثن عن جمال العروس أمام الزوجة الأولى باستمرار، فهربن من الموقف المحرج بكلمات غامضة. على الرغم من حلول المساء عندما انتهى إعداد مكان العروسين بوضع حزمات من القش الجاف وحصيرة من القش على أرضية الحظيرة، لم ترغب النساء في العودة إلى بيوتهن، بل انتظرن لحظة يختلسن فيها النظر إلى ما يجري في ليلة الدخلة من خلال ثقوب باب الحظيرة، وعيونهن

تتجه من جهة إلى أخرى باستمرار وقلوبهن ترفرف. ترددت العروس بوجه يشوبه الاحمرار من فرط الخجل أمام ما يعتاد الناس فعله في ليلة الدخلة، على الرغم من معرفة أن هذه العادة ضرورية لولادة كثير من الأولاد مثل البقرة. فقد دفعت النساء العروس بقوة إلى داخل الحظيرة، وهن يقلن بإصرار إنه لا يجب أن تخجل، وإنه لشيء يفتخر به، وهو أنها سوف تلد ابنًا ذا صحة جيدة مثلما تلد البقرة، وسيكون الابن والوريث لعائلة كونغ. دخل العريس في منتصف العمر بعدها وهو يحني رأسه كأنه خجول، وأغلق باب الحظيرة. بعد ذلك افترق الرجال ليعود بعضهم إلى بيوتهم، ويذهب الباقون إلى غرفة الضيافة في بيت العريس. ولكن النساء تجولن حول الحظيرة وهن يتذكرن أحلام أيامهن الشابة مبتسمات ومقهقهات.

– تعالين بسرعة. انطفأت الشمعة.

– السيد كونغ رجل محظوظ تزوج مرتين في حياته، وجمال امرأته الثانية لا نظير له في العالم. إذا كان ممكنًا أن أولد مرة ثانية امرأة جميلة مثلها بعدما أموت، فلن أندم حتى لو مت اثنتي عشرة مرة.

– جمال المرأة ليس أهم من إنجابها. كانت الزوجة الأولى جميلة أيام عرسها، أليس كذلك؟

– أظن أن الزوجة الأولى مجروحة ومكتئبة جدًّا. لو ولدت بنتًا على الأقل ما كانت لتشهد هذا الموقف السخيف. إلى أين ذهبت؟ لم أرها منذ فترة.

خرجت السيدة سونغ إلى البئر في الوادي الخلفي دون أن يلاحظها أحد. وكانت تجلس على ركبتيها أمام مذبح النجوم السبعة بالقرب من البئر بعدما وضعت وعاءً مليئًا بالمياه الصافية عليه، وقامت بالصلاة كما فعلت صباحًا ومساء كل يوم خلال السنوات العشر الماضية دون أن تنسى ذلك يومًا. في وسط الظلام ظهر وجهها الهادئ بشكل ضبابي، وهي تتوسل من أعماق قلبها وعيناها مغلقتان وراحتا كفيها متلاصقتان.

– يا ربة الخصوبة الكريمة أدعوك كل صباح ومساء جالسة على ركبتيّ في هذا المكان وبراحتيّ المتلاصقتين أن تغرسي بذرة واحدة في جسمي.. أتوسل إليك صباحًا ومساء جالسة على ركبتيّ...

لم يتردد صدى ترانيمها الخافتة في الجبل، بل إنها اختفت غارقة في حقل القصب الطويل المحيط بالبئر، ولم يوجد شيء يرد على صوتها إلا خرير المياه في الجدول الضحل. كانت حركات الناس الصاخبة في البيت خلف الحقول بعيدة، فكان الوادي هادئًا بدرجة تجعلك تتخيل أن ربة الخصوبة ستظهر حالًا بصورة واضحة في وسط الظلام. هذه الليلة لم تصطف حتى

أوراق أشجار الحور وأشجار البتيولا.

-.... اليوم هو يوم زفاف زوجي، فكل الناس سعداء ولكني أشعر بدوار وآلام شديدة في نفسي، فارحميني، واسمحي لي بما تفتخر به كل النساء. ساعديني على ولادة ابني لعائلة كونغ، يا ربة الخصوبة أتوسل إليك دائمًا...

فكت يديها المشبوكتين ونهضت من مكانها بهدوء فاركة راحتي كفيها، ثم ركعت في الصلاة أمام المذبح. مع ذلك بدأت في القيام بمئة سجدة وهي تخرج حبة فول في كل سجدة من الجرة التي قد وضعت فيها كثيرًا من الفول. نهضت وركعت ونهضت وسجدت باستمرار. في النهاية اختفت حركاتها الخفيفة -التي لا تعرف الإرهاق إطلاقًا- في الظلام تدريجيًّا حتى لم تبق إلا الترانيم الغامضة التي تشبه همسات ربة الخصوبة. بدا ذلك منظرًا ليليًّا أكثر هيبة وروعة من منظر ليلة الدخلة في الحظيرة.

لم تكن السيدة سونغ شخصًا وحيدًا يعاني من انكسار قلبه. عاد جيسيل، ابن عم جيدو، وزوجته، السيدة هيون التي قامت بغسل أطباق الحفلة، إلى بيتهما الذي يقع حقل القنب بينه وبين بيت جيدو، وقد فكرا في وضعهما بهدوء لأول مرة.

- يبدو الأمر على غير ما يرام. من كان يعرف أن مثل هذا الأمر

سيحدث؟

تمتم جيسيل متنهدًا، ووجه نظره إلى الغرفة الصغيرة ليرى ابنه الصغير الوحيد إيل دوك، ووجده نائمًا من الإرهاق الذي سببته الحفلة غير المتوقعة. ثم حول رأسه مرة ثانية إلى زوجته التي تقول:

– أصبح كل شيء على ما يرام. إذا أرسلنا ابننا الصغير الوحيد إليهم للتنبي فكيف نستطيع العيش؟

– كلام غبي. هل تظنين أنني أريد إرساله؟ فكري في فقرنا.

كان جيسيل يطمع إلى تحسين وضعه الفقير عن طريق إقناع جيدو بتبني إيل دوك ليكون وريثًا له. بينما كان جيدو من أغني رجال القرية وهو يملك معظم حقول قريته، فإن وضع جيسيل كان صعبًا لدرجة أنه لا يملك سوى منزل متواضع ويعمل في حقل جيدو كمزارع مستأجر. لم يكن جيسيل فقيرًا من البداية، فقد حصل جد جيسيل على بعض من الثروة التي ورثها مع أشقائه، ونجح هو ووالد جيسيل، في الحفاظ عليها. ولكن جيسيل انشغل بالقمار لفترة من حياته المستهترة، وفشل في مشاريع تجارية قام بها في تشانغ مال، مما أدى إلى خسارة ثروته كلها. فلم يجرؤ على أن يظهر أمام جيدو مرة ثانية، ولكن من أجل البقاء على قيد الحياة، لم يكن هناك مفر من أن يستأجر

بعضًا من حقول جيدو ليبدأ حياة جديدة. على الرغم من عزمه على أن يعيش حياته بطريقة مختلفة عن طريقته السابقة، فإن معاناته من مخالب الفقر كدرت نفسه في كثير من الأحيان، مما جعله يفكر في حيلة لإقناع ابن عمه الذي لم ينجب ولدًا بأن يتبنى إيل دول، ابنه الوحيد.

– اعتقدت أن ابن عمي كان يفكر في تبني ابني أيضًا، ولا أعرف ماذا حدث له. هل كان مفتونًا بجمالها؟ كيف يستبدل الثور بتلك المرأة بدلًا من الملح؟ سمعت أنها امرأة حداد شاب، وأنه باع امرأته طمعًا في الثور.

– ماذا تقول؟ كيف يبادل امرأته بثور؟ كيف توافق تلك المرأة على ذلك حتى لو عاشت حياة فقيرة جدًّا؟ لماذا تحدث أشياء غريبة مثل ذلك؟

– سمعت أن الحداد قد كتب رسالة صغيرة لابن عمي، لمنع حدوث الشجار بسبب الصفقة، هذا يعني أنه أمر قد حدث. على الرغم من كونها مجرد امرأة حداد، إلا أن جمالها رائع لأنها من المنطقة الجنوبية. أراهن أن الحداد بدأ يندم الآن.

– ربما سيكون جيدو سعيدًا إذا أنجب ولدًا وريثًا من المرأة ولو أنها ليست عذراء، لأنه لم يرغب بشدة في التبني...

– إذًا، ماذا سنفعل بهذا البيت البائس؟ لو أرسلنا إيل دوك إلى

بيت جيدو، فلن يحدث أن نراه إلى الأبد ونحن نعيش في هذا البيت القريب من بيته. في الربيع المقبل عليه أن يلتحق بالكتاب في تشانغ مال أو في مدرسة حديثة في البلدة... يبدو أن كل شيء قد انهار. لا خلاص لي ما دمت أعمل في حقول غيري طيلة حياتي.

لم تكن هناك فائدة في أن يطيل جيسيل السهر بحثًا عن حل معقول؛ لأن جيدو كانت له خطة من أول الأمر. عندما توصل جيدو إلى أنه لن يزرق ابنًا من زوجته، رغب بشدة في إنجابه من امرأة ثانية، وكان زواجه من امرأة الحداد نتيجة لتنفيذ خطته. بالنسبة له، كان انقطاع سلالة عائلته يساوي ارتكابه خطأ لا يغتفره أجداده.

عندما هاجرت عائلة جد جيدو إلى هذا الوادي الجبلي من إحدى مناطق البلاد الشمالية، لم تكن تملك شيئًا إلا كتاب الأنساب الذي اعتبره كنزًا عائليًّا. حسب ذلك الكتاب، ترجع جذور عائلته الملقبة بـ»كونغ» إلى تشانغ بيونغ من أراضي الصين، ويعد الحكيم العظيم الملقب بـ»كونغ»[12] من تلك المنطقة من أجداد العائلة. بفضل انتساب العائلة إلى أحد الحكماء الصينيين القدماء كما ذكر من الكتاب، تمتعت عائلة كونغ باحترام ومعاملة طيبة من قبل أهالي القرية في الوادي الجبلي. واجتهد أفرادها في حرث

12- يبدو أن «الحكيم العظيم» يشير إلى كونفوشيوس، مؤسس الكونفوشية في الصين.

أراضي الوادي وسفح الجبل ليتمكنوا من إعداد حقول واسعة لزراعة الخضراوات والأرز. واشترت العائلة حتى بعضًا من الأراضي الجبلية قرب القرية، لتصبح أغنى عائلة في القرية. ولم تتقلص ثروة العائلة المتراكمة بسهولة، ورزق جد جيدو ابنين. عندما جاء جيل جيدو الثالث بعد جيلي جده وأبيه، أصبحت مكانة العائلة أكثر متانة في القرية. كان جيدو ينظر بقلب متألم إلى جيسيل الطائش الذي يستنفد ثروته في ومضة عين بعد موت والده الذي قد نجح هو وجده في مراكمة الثروة والحفاظ عليها. كما توقع جيدو، رجع جيسيل فارغ اليدين بعدما أصبحت كل أراضيه الزراعية في حوزة غيره. ثم حاول بقليل من الحياء أن يدفع جيدو إلى تبني ابنه الوحيد، ولكن محاولته لم تعجب جيدو. فاعتقد جيدو أنه يجب إنجاب ابن من لحمه ودمه من أجل الحفاظ على أراضي العائلة إلى الأبد. الأراضي التي بذل من أجلها الكثير من الجهد خلال الأجيال الثلاثة المتتالية. وظن أنه إذا مات دون ابنه فستكون ثروته في أيدي الغرباء وتهمل إقامة الطقوس لذكرى الأجداد ولا يوجد أحد يشرف على مقابرهم، وذلك يعني ارتكاب أفظع خطأ كابن للعائلة. ورأى بكل ثقة أنه إذا استقر أحد في أرض فإن عليه أن يحكمها حتى الموت، فكان هدفه الأهم أن يورثها لجيل قادم. في كل ربيع غادر فيه جيدو بيته إلى البلدة من أجل شراء الملح، تمنى أن يعثر على عروس من قرية بعيدة، وحاول تحقيق ذلك. كان ميناء مونماك مكانًا يبهر جيدو الذي قد

ولد ونشأ في القرية الجبلية. في هذه السنة تحققت أمنيته هذه بشكل غير متوقع.

بعدما مرت عدة أيام على الزفاف أصبحت العروس معتادة على القيام بالأعمال المنزلية لتعمل مع زوجة جيدو دون حرج أو تردد. ونظر جيدو إلى المرأتين راضيًا وهما تعملان معًا وتتحدثان بشكل طبيعي وبسعادة في المطبخ. وكان سعيدًا جدًّا عندما نظر إلى العروس التي تبذل قصارى جهدها في الاعتناء بزوجها ووالدته دون إهمال شيء. بدأ واحد من أهل القرية يدعوها «ست أونجو»، وأثار هذا اللقب شيئًا من الاشتياق في نفوس أهل القرية. كانت أونجو أكثر بلدة تأثرت بالحضارة الحديثة من بين المناطق المجاورة لقريتهم. أصبحت بقايا تلك الحضارة تأتي إلى هذه القرية المنعزلة الفقيرة عن طريق ست أونجو. عندما غسلت ست أونجو وجهها استخدمت ما يسمى بالصابون بدلًا من حبوب الفول الأحمر، واستخدمت بودرة الوجه العبقة في علبة مستديرة، وليست بودرة أزهار المشمش التي تباع في السوق. كان في إصبعها الأوسط خاتم رفيع من الحديد، ودخنت سجائر ملفوفة بالورق الأبيض في فناء البيت الخلفي الذي لا تصل إليه نظرة حماتها. كان أهل القرية الذين لا يعرفون إلا شرب أوراق التبغ، معجبين برائحة هذه السجائر بدرجة كبيرة، فكان باك دونغ الذي يقيم في غرفة الضيافة كمستأجر مزرعة جيدو، يطلب بإصرار من جونغ كون أخذ سيجارة واحدة من ست أونجو من أجله.

كان آن جونغ كون، ابن أخت جيدو، يعيش في منزل جيدو. تزوجت أم جونغ كون من رجل تعيش عائلته في قرية على بعد ثلاثين ريًّا عن القرية. توفي والد جونغ كون بعد فترة قصيرة من وفاة أمه، وفجأة أصبح يتيمًا لا يوجد شخص يعتمد عليه إلا خاله. لم يرغب جيدو في تبني جونغ كون ابنًا وريثًا له، كونه من عائلة يختلف لقبها عن لقب عائلته على الرغم من أن جونغ كون من الأقارب الأقربين، ولكن السيدة سونغ اعتنت به اعتناء جيدًا حتى كبر وأصبح شابًّا ذا جسم قوي، واستطاع أن يعمل في الحقـــول بقدر ما يعمل الرجل النـاضج. منذ أيـام طفولته سمع جونغ كون أن أحد أجـــداد عائلته الملقب بـ»آن» كان رجلًا قويًّا جدًّا قابل نمرًا في الجبل ليمسكه من ظهره ويلقيه على الأرض بيديه العاريتين، ولكن لم تبق إلا آثار أظافر هذا الوحش على ظهر ذلك الجد، فاعتقد جونغ كون أن دم ذلك الجد القوي يجري في دمه، مما جعله يستعرض عضلات ذراعه بعد تشمير كم القميص من حين لآخر. منذ أيام صغره كان يعيش مع السيدة سونغ، فكانت مناداته السيدة سونغ بزوجة الخال شيئًا طبيعيًّا جدًّا له، ولكنه شعر بالإحراج إزاء مناداة ست أونجو الشابة الغريبة بزوجة الخال، فلم يستطع أن يدعوها بذلك مع أنه حاول. كما أنه شعر حتى بغضب عندما تذكر أنها استبدلت بثوره. مع مرور الأيام تدهورت صحة السيدة سونغ، وهي تجلس في غرفتها فقط دون الخروج طوال اليوم، أو تحيك طوال اليوم جالسة أمام آلة المنسج

التي تصدر منها أصوات صاخبة. عصرت صورتها الحزينة تلك قلبه، وشعر برغبة في دعمها وحمايتها عندما رآها تتلقى مضايقات من ست أونجو أو توبيخًا من خاله.

في يوم ما عندما عاد جونغ كون إلى المنزل مساء حاملًا خشب الوقود على ظهره، وجد زوجة خاله وست أونجو في المطبخ. كانت كل منهما تحدق في الأخرى وتشد شعر الأخرى صارخة في المطبخ الذي تتناثر أطباق العشاء على أرضيته. ورأى أيضًا السيدة هيون، زوجة جيسيل، التي تأتي إلى منزل جيدو لتساعدهما في إعداد الفطور والعشاء، تتنقل هنا وهناك مرتبكة في المطبخ. ودون أن تنتبه إلى شرارات النار المتسللة من الموقد، وبخت ابنها الصغير بصوت خشن على عدم إحضار عمه على عجلة. صرخت ست أونجو بشفاه شديدة الارتعاش قائلة: «هل جئت إلى هذه القرية الجبلية السخيفة لكي أعمل مثل البقرة؟ أنت تجلسين ملتصقة بآلة النسيج طوال اليوم، وأنا أسحب المياه وأعد العلف للمواشي وأغسل الأطباق.. كيف أقوم بأعمال المنزل الكثيرة هذه بمفردي؟» عندما رآها جونغ كون ظن أنها تشتكي من كثرة الأعمال المنزلية. فردت زوجة الخال موبخة: «هل جئت زوجة ثانية لتعيشي في ترف ورخاء؟ لا تتكبري، وعليك أيضًا أن تعاني من الأعمال الشاقة في القرية الجبلية لتتذوقي مرارة حياتها. أنا أيضًا أعمل مثلك، ولكنك تطعنيني بكلمات حادة في كل مرة تنتهين فيها من عمل ما». وفي الوقت نفسه اشتبكتا

معًا وسقطتا على كومة من الأغصان الرفيعة الجافة المستخدمة للموقد. اصطدمتا بخزانة الأواني، فوقعت الأواني على أرضية المطبخ صانعة أصواتًا عالية. قالت ست أونجو: «أنت بقرة عاقر وشريرة. إنك تتكبرين بصفتك زوجته الأولى ولكنك خاسرة. لو كنت عرفت لما جئت إلى هنا، هذه القرية الجبلية السخيفة على بعد ثلاثمئة ري». أثار هذا القول غضب زوجة الخال بشدة، فبصقت دمًا من فمها وصرخت: «ماذا ثرثرت؟ تكلمي من جديد.. مرة ثانية.. سأخلع لسانك». ولكنها انفجرت بالبكاء منهارة بسبب غضبها الشديد. لم تكن هناك عبارة تهينها وتؤلمها مثل كلمة «بقرة عاقر»، ففقدت طاقتها للشجار لتبكي بصوت عال حزنًا على وضعها. سمعت والدة زوجها صوت بكائها وزحفت إلى عتبة غرفتها لترى المنظر المضحك مندهشة، وتفتح فمها لكي تقول شيئًا ملوحة يديها. ولكن حتى احترام السيدة المسنة لم يهم المرأتين المنفعلتين للغاية. بعدما دخل جونغ كون المطبخ وفصل إحداهما عن الأخرى لم يدهشه منظر أرضية المطبخ المتناثر عليها الآواني فقط، بل إنه كان مندهشًا من منظر المرأتين اللتين تتلطخان بالدم وشعرهما مشعث وملابسهما ممزقة. وشاركت السيدة هيون في البكاء مستنشقة المخاط.

في ليلة ذلك اليوم اختفت السيدة سونغ ولم تظهر حتى في الساعات المتأخرة. حينها تساءل جيدو الذي كان يواسي ست أونجو عما حدث لزوجته الأولى، وساد الاضطراب بيته مرة ثانية.

بدأ جيدو في البحث عنها، متسائلًا: إذا لم تكن في غرفة المنسج، ولا في الطاحونة، فإلى أين ذهبت؟ لم يشارك في البحث جونغ كون فقط، بل أيضًا باك دونغ وجيسيل وزوجته، وبحثوا في كل مكان من البئر، وإلى التل خلف المنزل حاملين فوانيس الزيت، ولكنهم لم يجدوها. مع ازدياد قلقهم قرروا تقسيم أنفسهم إلى فرق ليتفقد أحدها زوايا المقابر والآخر في الجدول قرب الوادي. اقترب جونغ كون بمفرده من الطاحونة المائية ببطء وهو يوجه ضوء الفانوس إلى هنا وإلى هناك في وسط الظلام خوفًا من مصادفة جثة باردة مغطاة بالأغصان. عندما نظر بحذر إلى داخل الطاحونة المائية، رأى زوجة الخال تجلس مقرفصة أمام أكوام الأرز في إحدى الزوايا البعيدة. تراجع إلى الوراء بخطوات. عندما ركض إليها متحليًا بالهدوء وجد أنها لم تشنق نفسها على غصن شجرة، ولكن بدا أنها تتنفس بصعوبة بعينيها المغمضتين دون حركة. وكان هناك وعاء صغير يتدحرج. طعنت رائحة مياه الملح الكريهة أنفه، فأدرك أنها قد شربت مياه الملح المرة في الوعاء الصغير الذي قد وضع تحت كيس الملح. قال لنفسه مرتبكًا إنها عملت شيئًا فظيعًا، وجعلها تقف على قدميها ممسكًا بجسدها الثقيل، وحملها على ظهره وخرج من الطاحونة بسرعة. رأى أضواء الفوانيس المتلألئة التي تتحرك على التل المقابل، ولكنه سار بصمت على الممر المرتفع بين حقول الأرز، دون أن يناديهم. عندما وجد نفسه يحمل زوجة الخال التي اعتنت

به خلال العشرين سنة الماضية، على ظهره الذي تدفئه حرارة جسدها، غمره شعور غريب، ثم رغب في البكاء بشدة.

-.. هل أنت جونغ كون؟

همست بصعوبة زوجة الخال التي ربما عاد وعيها إليها قليلًا بعد التعرض لنسمات الليل.

- لماذا لا أزال على قيد الحياة؟ يناديني الناس ببقرة عاقر، بعاقر، ولكنني لست عاقرًا. خالك عاجز، ولكنني لا أقدر على قول ذلك. هذا هو ما أخبرتني به المرأة الشامانية في السر.

- لا ألومك يا زوجة خالي. ست أونجو سيئة. هي متكبرة لأنها من المنطقة الجنوبية، وهي من تبدأ في الشجار معك.

- هل تظن أنها ستنجب؟ سترى.. خالك عاجز. هو السبب. لا يعرفون ذلك. سينتظرون كثيرًا.. صدري.. بطني.. يؤلمني. ربما أحشائي مقطوعة.. الأحشاء ملتوية بشدة.. لا أطيق.. آي آي..

- كوني قوية. سيعرف العالم كله.

عانت السيدة سونغ من آلام شديدة وتقيأت الدم بسبب شرب كمية كبيرة من مياه الملح المرة، ولكن بعد نصف شهر تقريبًا، عندما أصبح الجو دافئًا، استطاعت مغادرة سريرها بشكل أسرع

مما يتوقع. مع أنها لم تتخلص تمامًا من الشعور بالحزن والفراغ، ثرثرت مع ست أونجو متظاهرة بأنه لم يحدث لها أي شيء، وقامت بالأعمال المنزلية. فبدا أن أيام السلام والهدوء عادت إلى السيدة سونغ، ولكن عندما بدأت زهور الكستناء في التفتح، واجهت حدثًا هز نفسها هزًّا كبيرًا وأفزعها بشدة لدرجة جعلتها تنسى الخوف على ضعف صحتها. رأت أعراض الحمل عند ست أونجو. رأتها لا تقدر على أن تأكل جيدًا وتعاني من الغثيان وتقضي وقتها راقدة على السرير أكثر فأكثر. شعرت السيدة سونغ التي كانت واثقة بأن ست أونجو لن تكون حاملًا، كأنها تعرضت للصعق من البرق. كانت تجلس باستمرار من حين لآخر، محدقة إلى اللاشيء دون أن تنهض من مكانها، وكان ذلك لأن كل طاقتها نفذت. إذا جاءت السيدة هيون لتسليها نهضت من مكانها بصعوبة ونظرت إلى السماء وكأنها تعاتبها. مزق منظرها المنهك قلب من يراها، مما جعل جيسيل، زوج السيدة هيون، يحضر عرافًا مشهورًا من بلدة تشانغ مال. رمى العراف الأعمى ذو اللحية البيضاء عملات معدنية على طبلية نظيفة، ووضع عليها غصونًا للخيزران الجبلي، وقرأ حظها من خلال تقييم صوتها وتفسير تاريخ ميلادها. قال العراف: «نتيجة القراءة جيدة فلا داعي للقلق». ثم أخبرها تفاصيل النتيجة وهو يكرر إغماض عينيه وفتحهما، ويبتسم برفع طرفي فمه قليلًا، ويقول: «إذا غادرت البيت في يوم يأتي فيه الحظ السعيد، وسرت سبعين ريًّا إلى جهة الشرق لتصلي

من كل قلبك في الجبل العالي، ستظهر أعراض الحمل من اليوم الأول الذي تبدأ صلاتك فيه، وستلدين ولدًا جميلًا مثل اللؤلؤ في النهاية. فقومي بتنفيذ ذلك بسرعة.. كلما كان أسرع كان أفضل». لمس العراف الأعمى لحيته الطويلة بوجه يوحي بالفخر بنفسه. لم تسمع السيدة سونغ مثل هذا سابقًا من أي عراف يقرأ تاريخ الميلاد أو شكل الوجه، فعندما سمعت كلام العراف الذي يتحدث بطلاقة، اعتقدت أنها ستنجب. لم تكن سعيدة في حياتها بقدر ما كانت في ذلك اليوم. وشعرت كأنها شفيت تمامًا وعادت إليها طاقتها، وقدمت للعراف أطعمة لذيذة أعدتها بإخلاص وبسعادة. غادر العراف إلى تشانغ مال مع جيسيل وهو يحمل كمية غير قليلة من النقود والأرز بوجه ضاحك.

بدا أن جيدو سعيد بالخبر غير المتوقع أيضًا، فقدم مساعدات إلى زوجته التي تستعد للرحلة. في اليوم الذي كان من المقرر أن تغادر فيه، نام معها في الحظيرة، ثم ودعها بوجه سعيد. سارت السيدة سونغ سبعين ريًّا باتجاه الشرق لتصل إلى جبل أودي المعروف الذي يحتضن معبد وول جونغ سا البوذي المشهور. وغادر جونغ كون مرافقًا زوجة الخال بسعادة مع البقرة التي على ظهرها أطعمة ثلاثة شهور بالإضافة إلى الأواني والملابس.

بعدما رحلت السيدة سونغ مع جونغ كون، كان البيت فوضويًّا ومزدحمًا بالناس مع حلول ذروة الموسم الزراعي. على الرغم

من ذلك، شعرت ست أونجو بالراحة بسبب تخلصها من الخصام مع ضرتها، وتصرفت بحرية كاملة وهي تشرب السجائر في أي مكان تحبه. وكان أفراد أسرة جيسيل جميعهم يحضرون لكي يساعدوها في القيام بالأعمال المنزلية، فلم تكن مرهقة بسبب أعمال المطبخ بقدر ما كانت بسبب عملها مع السيدة سونغ وهما تتشاجران. واستجابت زوجة جيسيل، السيدة هيون التي كانت تتصرف بحذر في حضرة السيدة سونغ، لما تقوله ست أونجو عن الأشياء التافهة. فسارت كل الأمور على ما يرام في المنزل. وفي الحقول ازدادت الأعمال الزراعية مثل نزع الأعشاب الضارة في حقول الدخن والاعتناء بحقول القنب ونشر غصون البلوط على حقول الأرز وغيرها، فعانى جيدو وباك دونغ من نقص الأيدي العاملة الذي يدفعهما إلى حافة الانهيار، ولكنه بعدما مرت عشرة أيام فقط على مغادرته من البيت، ظهر فجأة جونغ كون الذي كانا يبتغيان عودته، في وقت أبكر مما توقعا. فرحبا به بسعادة شديدة. مع أن باك دونغ رآه مكتئبًا وواهنًا خلافًا لما كان عند مغادرة البيت، اعتقد أن ذلك بسبب تعب السفر. عندما سأله باك دونغ إذا كانت الرحلة البعيدة قد أرهقته كثيرًا، تظاهر جونغ كون بأنه مشغول دون أن ينظر إليه.

– هل يوجد جبل أكبر من جبل أودي؟ إنه جبل مكتظ بأشجار البتولا والبلوط الضخمة بدرجة تجعل النمور تظهر فيه. والمعبد مزدحم بالناس الذين يأتون للصلاة، فلا يختلف عن القرية.

سمح أحد الرهبان البوذيين الذي قدم مساعدات كثيرة لزوجة الخال، باستخدام إحدى الغرف للنوم وتصحو مع أول صيحة ديك وتطبخ الأرز بحلة نحاسية صغيرة وتأخذ الأرز المطبوخ إلى حرم المعبد لتصلي أمام بوذا. سمعت أنها ستقوم بمئة سجدة كل يوم خلال مئة يوم... هذا كل ما أعرفه.

– يا للعجب، أصبحت رجلًا بالغًا بعدما جربت أشياء جديدة في بلد غريب. رأيت سوق جينبو في طريق العودة، أليس كذلك؟ سمعت أنها أصبحت سوقًا أكبر من سوق تشانغ مال بعد فتح شارع مبلط جديد مؤدٍّ إلى مدينة كانغ رونغ.

– إنها كبيرة حقًّا. على الشارع المبلط اللانهائي تقف عربات البقر في صف، وتسير السيارات كل يوم. عندما رأيت السيارة لأول مرة سقطت في الشارع مفزوعًا. يشبه شكل السيارة الخنزير، تركض بسرعة... صارخة بصوت يشبه صوت الرعد... الدنيا واسعة. إذا سرت على الطريق الواسع مثل فناء المنزل، فإن ذلك يجعلني لا أريد العودة إلى هذه القرية الجبلية، وأرغب في الهروب إلى مكان بعيد.

– ازدادت ثرثرتك ومكرك. تتصرف مثل رجل بالغ. أصبحت بالغًا بالفعل. وتغير صوتك ليصبح أكثر قوة وعمقًا.

ضرب باك دونغ كتف جونغ كون الذي كان يثرثر بلا نهاية،

فلوى جسده وركض مترددًا في اتجاه الحقول وهو يصرف وجهه عن باك دونغ. نظر باك دونغ إلى ظهره قائلًا لنفسه إنه تغير بالفعل، ولم يكن خجولًا ولم يكن طبيعيًّا في التصرف قبل سفره، وأصبح وجهه أكثر نحافة. واستغرب محركًا رأسه يمينًا ويسارًا.

في هذا العام، لم يكن جونغ كون سعيدًا حتى في عيد دانو خلافًا لما كان سابقًا. شارك على مضض في مباريات المصارعة التقليدية التي تنعقد أثناء يوم العيد، والناس يدفعونه إلى ملعبها. ولكن عدوه الذي كان ينتصر جونغ كون عليه كل سنة، أسقطه بشكل مثير للخجل في هذا العام. وبدلًا من فوزه بجائزة بقرة أصيب بكدمات في فخذه. أثار منظر جونغ كون الشفقة في نفس باك دونغ لدرجة جعلته يضرب ركبته بيده ليقف على قدميه غاضبًا، وقائلًا لنفسه إنه يجب ضربه لكي يصحو. ذلك اليوم ذهب جونغ كون إلى حانة في السوق وشرب بلا نهاية، وعاد إلى المنزل بعد هبوط الظلام على القرية. سأله جيدو: «ما بك؟ تبدو متعبًا ومنهكًا. هل عندك مشكلة لا يمكن قولها لي؟». ولكنه سار إلى الطريق المظلم خافضًا رأسه دون أن يجيب، وصعد إلى التل خلف المنزل. لم يعد إلى البيت طوال الليل، وفي اليوم التالي نزل سيرًا على مهل من التل نهارًا مع ظبي صغير بحجم جرو ضمه إلى صدره. قال جونغ كون إنه سهر في التل طوال الليل، حيث دخل في شجيرات البرسيم لكي ينام هناك،

وأدرك أنه في موطن الظباء، ووجد هذه الظباء الصغيرة مفزوعة تقفز صارخة. فركض وراءها في الظلام وأمسك بأحدها، ونام وهو يحتضن الظبي الصغير. وقال إن صوت بكاء الظبية التي تبحث عن صغيرها المفقود يدوي في الوادي طوال الليل. في اليوم التالي بدا أن جونغ كون استعاد بعضًا من حيويته بفضل الظبي. وبعدما قال: «هو أجمل من صغير الإنسان، وسأربيه»، قضى نهارًا لبناء سياج صغير بجوار الحظيرة وإطعامه أوراق البرسيم. فأصبح الظبي الذي قد مشى بخطوات متعثرة مفزوعًا، متعودًا على الإنسان، وأكل أوراق البرسيم التي يعطيها جونغ كون له، دون تردد في المساء.

عندما رجع باك دونغ من العمل ورأى ما يفعله جونغ كون، عاتبه متمتمًا: كيف تنام في الجبل؟ هل تعرف كم كنت قلقًا عليك؟ ثم قال له:

– لماذا جلبت الظبي حتى بعد هزيمتك في مباراة المصارعة؟ يا خسارة، فزت بظبي بدلًا من بقرة. ماذا ستفعل بالظبي الصغير التافه هذا؟

– إذا تعرض هذا الحيوان للأذى، فلن أبقى صامتًا وسأحاسبك. حتى لو مت مئة مرة فلن تولد جميلًا مثله.

– هل هو أجمل من بوني؟ ألن تتزوج من بوني بنت السيد ليم

في الخريف المقبل؟ إلى متى ستستمر في مثل هذه التصرفات الغبية؟ لم تنظر إلى وجه بوني بوضوح. إذًا، في الصيف المقبل ستذهب بوني إلى التل لقطف التوت البري، وعندئذ يمكن أن تراها في السر مختبئًا في أخاديد الحقول، وأراهن أنك ستقع في الحب من أول نظرة.

– كف عن هذا الكلام الفارغ. من قال إنني سأتزوج من بوني؟ إذا رغبت فيها فتزوجها أنت.

– أنت رجل ريفي متكبر. إذا بالغت في الطمع فلن يحبك أحد. هل توجد فتاة أخرى تعجبك؟ والله تبدو تصرفاتك غريبة... دعني ألمس شيئًا لأرى كم كبرت ومتى ستفوز بعروس.

– أنت مجنون. ما خطبك؟

اندفع باك دونغ إلى جونغ كون بيد مفتوحة وهو يغازله ضاحكًا مثل الغبي، فاحمر وجهه احمرارًا شديدًا، وبدأ في التراجع إلى الوراء وهو على وشك البكاء. وعندما رآه باك دونغ يمسك منجلًا بيده المرتعشة قائلًا: إذا أهنتني فسأقتلك؛ هرب بوجه شاحب. أشعرته عينا جونغ كون الشرستان بالذعر وأصابته القشعريرة.

مرت أيام الصيف في الوادي بسرعة. عندما اكتمل حصاد محصول الشعير بعد الانتهاء من زرع شتلات الأرز، كان الوادي مغطى بالأشجار الصغيرة والنباتات، وازدادت كثافة أشجار

الجبل لدرجة زاد فيها حجب الرؤية. برزت شعرات حمراء من كيزان الذرة، وكانت نباتات القنب قد كبرت لتصبح أطول من قامة رجل بكثير وتلقي ظلالاً كثيفة على القرية. وكاد منزل جيدو أن يكون مدفونًا تمامًا بظلال أشجار الكستناء والكمثرى البرية. بعدما تعرضت القرية للفيضانات في فترة الأمطار الغزيرة الصيفية، بدأت أشعة الشمس الساخنة تنصب عليها. فعانى الناس من العرق الشديد أثناء عملهم المستمر في الحقول. كلما كان جيسيل مرهقًا ومتعبًا لم يرغب في عمل أي شيء لشعوره بالانزعاج، فجلس فترة طويلة على ممر بين الحقول مستغرقًا في التفكير. إذا حملت ست أونجو بالفعل، فلم يكن ممكنًا إرسال إيل دوك للتبني، مما جعله يائسًا من أيامه القادمة التي سيواجه فيها القسوة والتعب والإرهاق. حاور جيسيل باك دونغ -الجالسان وجهًا لوجه- قائلًا إنه من الأحسن أن يتخلى عن الأعمال الزراعية لكي يذهب للمقامرة أو لعمل أي شيء في المنطقة الجنوبية. دون أن تعرف زوجة جيسيل، السيدة هيون، ما يدور في نفس زوجها على الإطلاق، كانت تبقى في منزل جيدو مشغولة بمساعدة ست أونجو. في يوم من أيام الأمطار الغزيرة وطأ جيدو شوكة في المياه الموحلة أثناء محاولة منع تدفق المياه من الحوض المائي، وجعلته قدمه المصابة بالتورم يرقد دون حركة ويتلقى علاجًا بوضع الإبرة الضخمة الساخنة والأعشاب المسحوقة على قدمه. تحسنت حالته مع مرور الوقت واستطاع أن يمشي. أسعده كثيرًا

أن يرى بطن زوجته الشابة يكبر تدريجيًّا أثناء رقوده أكثر من شهر، وأسعده أيضًا أن يبدأ العمل بذراعيه اللتين يشعر بالحكة فيهما. وكان مسرورًا عندما رأى زوجته الشابة تتحرك في المنزل من بعيد وهو في الحقول أو على التل.

في يوم ما وقع لجيدو المغمور بالسعادة حادث لم يتصوره بالمرة: رأى تصرف زوجته المثير للشكوك، فنزل باندفاع من التل. كان جيدو ذهب إلى التل لقطف عناقيد نبات الأوروت. نظر من بعيد إلى منزله الساكن الذي قد خرج الرجال جميعًا منه إلى الحقول بعد الغداء. في ذلك الحين رأى ظلًّا صغيرًا يتحرك فجأة في فناء المنزل ويدخل غرفة جيدو ببطء كأنه ينظر إلى ما حوله بحذر. أدرك جيدو أنه باك دونغ وحدق إلى المنزل متسائلًا عن سبب وجوده حيث كان من المفترض أن يعمل في حقل الدخن خلف المنزل. بعد مرور فترة غير قصيرة خرج باك دونغ من الغرفة بخفة وعلى مهل، وخلفه زوجته التي تخرج من الغرفة والسيجارة بين شفتيها. فور رؤية زوجته ارتعش جسمه من غضب متوهج جعل عينيه جاحظتين، وأسرع في النزول من التل تاركًا حماله وعناقيد الأوروت وراءه.

كان واثقًا بزوجته الشابة، ولكن بعد أن بدأ يشك فيها، تمزق قلبه بدرجة تدفعه إلى الجنون. مع أنها قدمت حججًا لما حدث فإنه لم يكن مقتنعًا. فضربها مرات بغصون رفيعة لشجرة الرماد

إلا أنها تقول إن باك دونغ طلب منها ربط سترته العلوية، ففعلت ذلك وأعطته سيجارة. ثم لم تضف كلمة واحدة بعد ذلك. بعد فترة أعلنت بعصبية أنها سترجع إلى قريتها إذا كان عليها التعرض للإهانة هكذا، ثم بدأت جمع متعلقاتها الشخصية ببطء. على الرغم من ذلك، لم ينطفئ غضب جيدو، مما دفعه إلى تهديد باك دونغ بوضع رأسه تحت نصل سكين العلف. فاعترف باك دونغ أخيرًا وهو يطلب المغفرة بدموع، قائلًا إنها كانت حيلة لطرد ست أونجو بوقوعها في الفضيحة، وإن جيدو خدع بسهولة، وإن جيسيل مدبرها. اندهش جيدو، ودهشت ست أونجو أيضًا. بعدما أدركت ست أونجو أنها قد وقعت فريسة للخدعة الحقيرة، أخذت توبخ باك دونغ وتشتمه: «أوغاد أشرار». بينما حاول جيدو تهدئة نفسه ظن أنه من المحتمل أن يكون جيسيل دبرها بالفعل؛ لأنه كان يفكر ويدبر أشياء سرية ليلًا ونهارًا. وأرسل باك دونغ ليحضر جيسيل، ولكنه لم يجد جيسيل في الحقل ولا في البيت. لعله كان يعرف ماذا سيحصل له!

منذ ذلك اليوم، لم يعد جيسيل إلى البيت، وظن جيدو أنه ذهب للمقامرة أو إلى المنطقة الجنوبية البعيدة. بعد مرور عدة أيام سمع من شخص قد رجع من سوق تشانغ مال أن جيسيل كان يقضي أيامًا يترنح فيها سكران في الحانة، ثم أعلن أنه سيذهب إلى جبل عالٍ في قرية هونغ جونغ ري لكي يصلي بكل قلبه في ذلك الجبل العميق ويعثر على جذور الجنسينغ فيه. بعدما

سمع ذلك، اعتقد جيدو أن ابن عمه يطمع في قبض ثروة ضخمة مرة واحدة من خلال العثور على جذور الجنسينغ البرية الثمينة، ولكن شخصًا طماعًا مثله لن يرى أي جذر من الجنسينغ المسمى بدواء الخلود الموجود في جبل الآلهة الثلاثة، مما جعله يشفق على جيسيل. كان حزن السيدة هيون التي فقدت زوجها، شديدًا أكثر مما تصور الناس. بقيت كل يوم تقريبًا في منزل جيدو مع ابنها الصغير بعينيها الحمراوين من كثر البكاء. أما باك دونغ فإنه لم يرجع إلى بيت جيدو، متجولًا أيامًا في تشانغ مال بسبب خجله من تصرفه السخيف الذي ارتكبه بتحريض من جيسيل. ولكن جيدو ذهب إلى تشانغ مال لإحضاره بعدما قرر أن ينسى ما قد مضى؛ لأنه يحتاج إليه في الموسم الزراعي. فعاد يقيم باك دونغ في غرفة الضيافة في منزل جيدو.

كان جونغ كون أكثر شخص أفزعته هذه الحادثة الفاضحة غير المتوقعة، فكلما تذكر اللحظة التي كان فيها جيدو على وشك ضغط سكين العلف حيث كان رأس باك دونغ موضوعًا تحت نصله مهددًا بقطعه، غمره الخوف الشديد حتى ترتعش ركبتاه. لم يسبق أن رأى خاله الذي كان وديعًا ولينًا في الحياة اليومية، يتصرف بحزم وهيبة كما فعل في ذلك اليوم. في كل نهار ذي حرارة ورطوبة شديدتين من الصعب أن يتحملهما، كان جونغ كون يجلس تحت ظل الشجر للراحة مفكرًا بعمق وبلا نهاية كما فعل جيسيل سابقًا. واشتد حزنه بعد هروب الظبي الذي

كان يربيه في السياج بجانب الحظيرة. لقد اعتقد أنه نجح في ترويضه ففتح بابه قليلًا. وظن أنه خرج منها ليتجول في فناء المنزل، ولكنه هرب بسرعة إلى التل خلف القرية دون معرفته. فلم يستطع جونغ كون أن ينشغل بالعمل بسبب شدة الغضب. عندما انتهى الصيف وحرارته رجعت السيدة سونغ إلى البيت من معبد وول جونغ سا. ظهرت حاملًا في ثلاثة أشهر ببطن كبير بفضل قيامها بالصلاة لمدة مئة يوم في المعبد. خفق قلب جونغ كون بشدة وهو لا يعرف ما إذا كان ذلك بسبب سعادته بعودتها أم خوفه منها. ومن ذلك اليوم لم ينزل من التل ليعود إلى البيت قبل أن يحل الظلام.

عندما انتشر في القرية خبر عودة السيدة سونغ التي حققت ما قد تمنته من كل قلبها لفترة طويلة، تعجب أهل القرية كلهم من قدرة العراف الأعمى الرائعة، وحسدوا نصيب جيدو الذي سيزرق بابنين في المستقبل القريب. ثرثرت نساء القرية متسائلات: لن توجد امرأة في هذه الدنيا تحزن من عدم إنجاب ولد بعد الآن. الآن كل ما تحتاج إليه هو جلب العراف من تشانغ مال وتطلب منه قراءة مصيرها. في ذلك الوقت كان جيدو سعيدًا لدرجة أنه يشعر أنه لا يوجد في الدنيا شيء آخر يتمناه، ومشغولًا جدًّا بأن يرد على تهنئة الناس بوجه مبتسم. وقف في فناء المنزل ناظرًا إلى أرضه الممتدة من خارج البيت إلى حوض الوادي، وتصور أن أحفاده المتعاقبين سينجحون في الحفاظ على أرضه الواسعة حتى

تزدهر عائلته وتنتشر سمعتها انتشارًا واسعًا. وظن أنه سيكون سعيدًا حتى لو مات حالًا. مع أن محاولته لإيقاف المشاجرات التي استؤنفت بين الزوجتين أتعبته إلى حد ما، فلم يهمه ذلك كثيرًا أمام سعادته. في بعض الأحيان نظر بفخر إلى مشاجرات زوجتيه. أهملت الزوجة الشابة أعمال المنزل بوقاحة وغطرسة، وتصرفت الزوجة الأولى بكسل وكأنها لا تريد أن تخسرها ضرتها.

كان جيدو سعيدًا للغاية بحصاد خريف ذلك العام الذي شهد محاصيل وفيرة لم تشهدها السنوات السابقة. كان فناء البيت مزدحمًا بأكوام من محاصيل الأرز والدخن مثل التل الأصفر، وكان المخزن مليئًا بمختلف الحبوب. وكانت فيه أكياس كثيرة من الفول الأسود ذي الحبة الكبيرة، سيذهب بكمية كبيرة منها ليبادلها بالملح في الربيع المقبل. وتم قطف ثمار الكستناء والتمور الصينية بكمية أكثر مما سيستخدم في طقوس ذكرى أجداده خلال سنة واحدة. بجانب ذلك، ذهبت السيدة هيون كل يوم إلى الجبل البعيد مع نساء القرية ليرجعن مع سلات مليئة بالكاميليات والكمثرى البرية بالإضافة إلى الأعناب البرية المبردة بالصقيع. فاحت في البيت روائح هذه الثمار ومختلف محاصيل الحبوب التي نضجت. أكلت زوجتا جيدو الأعناب البرية ببطنيهما المنتفخين طوال اليوم. شعر جيدو بالارتياح وانتشرت السعادة في جسمه عندما فكر أن أفراد أسرته سيقضون أيام الشتاء المقبل في راحة نتيجة للقيام بأعمال شاقة خلال الأشهر الستة

السابقة. ولكن في ذروة السعادة جاءه النحس. بل إنه يمكن القول إن السعادة قد جاءت استعدادًا لحضور ذلك النحس. كانت الطريقة الوحيدة التي يفهم بها تلك المصيبة المأساوية، ولم تكن هناك طريقة أخرى لفهمها. انقلب قلب جيدو الهادئ والمطمئن، ورغب في أن يبكي بشدة على نحسه.

عندما كان جيدو يقوم بتكويم الدخن المتبقي في الحقل، سمع صوتًا صاخبًا يصدر من طرد العصافير، ورأى جونغ كون يركض إليه لاهثًا. أخبره جونغ كون أن هناك رجلًا غريبًا يتكلم مع ست أونجو دون تردد. لم يتصور جيدو على الإطلاق أن الحدّاد جاء من مونماك لاستعادة زوجته. أسرع إلى فناء بيته، وبينما نظر إلى ذلك الرجل الشاب الذي يرتدي ملابس الرحلات، تحول لون وجهه إلى الأزرق دون أن ينطق كلمة.

– أعرف أنني فاجأتك، ولكنني جئت لكي أسترد زوجتي. لقد ارتكبت شيئًا حقيرًا وندمت عليه كثيرًا. لم تخبرني باسم قريتك، فتعبت كثيرًا في البحث عنك. غادرت مونماك قبل أكثر من شهر لأبحث عنك متجولًا في كل قرية من البلدة.

– ماذا تقول بحق الجحيم؟ ألم نتفق على الأمر أمام الناس؟

– كيف بحق السماء يمكن للإنسان أن يبادل شخصًا ببقرة؟ تعرضت للشتاؤم والإهانات من الناس، ومات الثور أيضًا بعد

فترة قصيرة. سأدفع ثمن الثور. معي نقود جاهزة.

– لماذا كتبت الورقة؟ ألا تتذكر أننا ختمنا عليها ببصمة الإبهام. إنها معي الآن. حتى لو ذهبنا إلى المحكمة فمن الواضح من سيكسب القضية.

– كنت آنذاك غاضبًا جدًّا بعدما تشاجرت أنا وزوجتي. أي شخص يضع بصمة إبهامه على مثل تلك الورقة إذا كان في كامل قواه العقلية؟

– هل كلامك معقول؟ بعدما عشت معها نصف سنة في البيت، كيف تطلب مني الآن...؟

– مهما يكن فسأذهب معها. إذا لم نصل أنا وأنت إلى اتفاق، فلنسألها ما تريده؟ هل تريدين البقاء هنا أو العودة معي؟

وجه الرجل نظره إليها بوجه واثق، ولكن زوجته السابقة لم تبد علامة واضحة على الموافقة عليه؛ لأنها تذوقت عددًا لا يحصى من المعاناة والشقاء خلال السنوات العديدة التي عاشت فيها مع الحداد الفقير والكسلان. وفي الوقت نفسه لم يكن ممكنا أن تختار جيدو دون تردد مباشرة في ذلك المكان، فكانت محرجة حتى يتغير لون وجهها إلى الأزرق كما كان جيدو، ولم تكن قادرة على نطق كلمة مذهولة من الموقف غير المتوقع.

– صرت مشتاقًا إلى ولدي. من الذي يمكن أن يمنعني من

اصطحاب ابني؟ أعني أنه لا يمكن لأحد أن يفعل شيئًا ما دام ابني من لحمي ودمي.

– ابن من؟ من؟ ماذا تقول؟ هل تمزح؟ إذا لم تتوقف عن كلامك ذلك فستحدث لك مصيبة.

– هل تعتقد أنني أكذب؟ عندما كتبنا الورقة ربما كانت في الشهر الثاني من حملها. اسأل أم ابني فورًا! والله لا يوجد مجرم أشر مني تحت السماء.

– ما.. ماذا تقول بحق الجحيم؟ أنت حقير..

بينما شعر جيدو فورًا بتدفق دمه من عروقه ولم يستطع تمالك نفسه ليمسك الجزء الأوسط من قميص الرجل، دخلت ست أونجو البيت بصمت وهي تركض خافضة رأسها. قال لنفسه: ماذا يحدث لي بحق الجحيم؟ لم يجد جيدو أي ذرة من الطاقة كي يضرب بها الرجل حتى يسقط على الأرض، بل إنه حاول ألا ينهار بنفسه على الأرض. قال لنفسه إن كل شيء كان مجرد حلم، وشعر كأن الجنون يسيطر عليه.

في اليوم التالي ذهب جيدو متمايلًا كرجل أبله في مشيه مع الحداد إلى تشانغ مال لكي يحلا قضيتهما. ولكن الشرطة لم تحل القضية ولا إدارة البلدة، حيث ينظرون إليهما فقط ممسكين بالورقة المتآكلة. كان صعبًا عليهم أن يحلوا هذه القضية بإصدار

حكم غير متحيز يجعل المرأة تعود إلى أحدهما. على الرغم من أنهم بحثوا في القضية طوال النهار، فإنهم فشلوا في الوصول إلى حل، مما خيب أمل الرجلين. أدرك الحداد أن القضية لن تحل بسرعة، فقرر الإقامة في نزل في تشانغ مال ليزور جيدو كل يوم ويصر على مطالبته بإعادة زوجته السابقة. أما جيدو فقد فَقَد طاقته كلها حتى شعر كأنه ليس حيًّا. فكر أنه يمكنه التخلي عن ابنه من ست أونجو مقتنعًا بأن زوجته الأولى ستلد ابنًا، ولكن مغادرة ست أونجو التي كانت تعيش الحياة الزوجية معه تؤلمه كأن جزءًا من لحمه يقطع من جسمه. لم تختلف فكرة ست أونجو عن فكرته كثيرًا، ولكن لم يكن بإمكانها أن تهمل حق زوجها السابق الذي يطالب بابنه، فلم تستطع فعل شيء إلا التنهيد المستمر. مع اشتداد تهديد الحداد يومًا بعد يوم، قررت أن تقيم معه في تشانغ مال إلى أن تلد طفله. فاستأجرت هي والحداد غرفة صغيرة وبدآ حياتهما الزوجية الفقيرة من جديد. لم يعترض جيدو على قرار زوجته الثانية بصمت، ولكنه لم يستطع تحمل غضبه عندما سمع ما يتحدث عنه أهل القرية بصوت هامس. تنبؤوا بأن ست أونجو ستبقى مع الحداد بعد ولادة طفلهما، ويعملان قريبًا من حانة لبيع الخمر نظرًا لأن الحداد أعلن بالفعل عن رغبته في عدم العودة إلى قريته وإقامته في تشانغ مال. في اليوم الذي غادرت فيه ست أونجو إلى تشانغ مال، ذرفت دموع الوداع من عيني السيدة هيون التي نمت المودة بينها وبين ست

أونجو خلال الأيام الماضية، وسار باك دونغ وراءهما حتى يصل إلى الممر بين حقول الأرز متسائلًا ماذا يجعل الأمور الحياتية تنقلب بهذا الشكل، وكاد يذرف دموعًا ساخنة. أما جيدو فإنه استرجع ما قد حدث له في ومضة عين من التغيرات، وقال لنفسه إنه لا يستطيع معرفة كيف تدور أمور الدنيا، وتسللت إليه الرياح الخريفية التي تخنقه. لم يعد يسعده الحصاد الوفير ولا الأرض الزراعية الممتدة. اغرورقت عيناه عندما جلس بمفرده في الغرفة الفارغة.

بدا أن الرياح الخريفية لم تكن راضية بعذاب جيدو هذا، وكانت قاسية جدًّا كأنها تعضه بشدة منتظرة اليوم الذي تسقِط فيه جسده وقلبه. كانت الرياح الخريفية تنتظر ذلك اليوم الذي أصبح يدرك فيه جيدو عجزه، ما جعله يحزن على جسمه ويبكي من آلامه الشديدة والمرة بصوت عال.

بعد مغادرة ست أونجو، ساد في البيت السكون والصمت، وحاول جيدو الذي يعاني من نقص الأيدي العاملة، تزويج جونغ كون من بوني، بنت السيد ليم الذي قد اتفق تقريبًا معه منذ الربيع الماضي. ولكن جونغ كون رفض الزواج منها بإصرار. كسب السيد ليم لقمة العيش منشغلًا بعمل الصيد بدلًا من عمل الزراعة، فاصطاد الصقور وأمسك السرعوب وطيور الدراج بالشرك خلال فترة الشتاء. لذا أراد أن يتخلص من أولاده في أقرب يوم ممكن

ولو واحد، فكان ينتظر تحديد يوم الزواج بعدما قام بإعداد ثوب الزفاف التقليدي في صندوق العروس. عندما سمع عن عدم رغبة جونغ كون في الزواج، أصابته الحيرة. خاف السيد ليم أن بوني تفعل شيئًا خاطئًا بسبب خيبة أملها، فتحدث مع زوجته عن الأمر في كل جلسة لهما نهارًا وليلًا. لم يكن في القرية رجل عزب يباري جونغ كون في ضخامة وقوة جسده، حيث يعمل بسرعة وإتقان وينفذ ما هو مطلوب منه على أكمل وجه. أما جيدو الذي قد عبر عن رغبته في تزويج ابن أخته من بوني فإنه وقع في الحيرة أيضًا، فوبخ جونغ كون قائلًا: «لماذا لا تريدها؟ هي أحسن منك. هي أفضل فتاة في القرية تتقن الخياطة والحياكة». ولكنه لم يسمعه. في الليل كان يصنع جونغ كون حبالًا من القش الجاف مع باك دونغ وهما جالسان وجهًا لوجه في غرفة الضيافة. فجأة توقف جونغ كون عن العمل وقال لنفسه متمتمًا: «أين سيكون السيد جيسيل الآن؟ إذا عثر على جذور الجينسنغ في الجبل فسيكون قبض ثروة طائلة بأحد الجذور فقط. يا ليتني أغادر إلى أي مكان.. أشتاق إلى الشارع الواسع الذي يشبه فناء منزل. إذا ذهبت إلى الشرق، فسأصل إلى مدينة كانغ رونغ، وإذا ذهبت إلى الغرب فسأصل إلى العاصمة، سيول.. أريد أن أسافر إلى أي مكان». سأله باك دونغ قائلًا: «أنت تفكر في الهروب مثل جيسيل، أليس كذلك؟ لذا رفضت الزواج من بوني». لم يرد جونغ كون عليه إيجابًا ولا سلبًا، بل إنه ظل جالسًا بصمت ناظرًا إلى

مكان بعيد. عندها رأى باك دونغ عيني جونغ كون الرقيقتين اللتين يدب فيهما القلق والخوف، وتأثر بهما بعمق. وشعر أنهما من أجمل العيون التي رآها في حياته.

كان هناك سبب آخر لرغبة السيد ليم في تزويج بنته من جونغ كون. كانت مهارة جونغ كون في الصيد متفوقة للغاية لدرجة أن مهارته هو لا تصل إليها. عندما ذهبا معًا لنصب الشرك تحت ثلوج الجبل أدرك أن جونغ كون عنده طرق خاصة لنصب الشرك لا يعرفها غيره. على الرغم من أنه صائد ذو خبرات طويلة، لم يستطع أن يكتشف الطرق الخاصة لتعليق طعم للشرك ودفن المصيدة والعثور على أماكن تعتاد طيور الدراج على النزول فيها. ففي كل سنة اجتاز عدد ما اصطاده جونغ كون من طيور الدراج العدد الذي اصطاده السيد ليم. إذا باع جونغ كون تلك الطيور التي تم اصطيادها في الشتاء، كان ممكنًا أن يكسب مالًا يكفي لشراء خنزير. فكان من أمنيات السيد ليم أن يجعل جونغ كون أمهر صائد في المنطقة. في شتاء ذلك العام عاد جونغ كون مع صيد رائع غير متوقع، فلم يندهش السيد ليم فقط، بل انبهر أهل القرية أيضًا. إنه اصطاد دبًّا وقع في حفرة قد حفرها جونغ كون على المنحدر الجبلي المؤدي إلى قرية هونغ جونغ ري. من وقت لآخر جاء الدب من هونغ جونغ ري إلى قريته عبر الجبل ليدوس الخضراوات المزروعة في الحقول، فأحضر أهل القرية راميًا ماهرًا من تشانغ مال وشبابًا يساعدونه في مطاردة الدب،

ولكن الرامي لم ينجح بالمرة في إصابة الدب ببندقيته. ولكن قام جونغ كون بسهولة بصيد الدب الوحشي من خلال عمل حفرة بعمق بئر قد استغرق حفرها عدة أيام، يغطيها بمجموعات من الغصون والأوراق الجافة فقط. قبل القيام بالحفر قد دقق النظر في المسار الذي يعتاد الدب على المرور به، وعلق حفنة من الذرة الخالية من النواة على غصن تتدلى منه فوق الحفرة المخفية. عوَّل الدب الساقط في الشرك العميق حزنًا طوال الليل. عندما جاء الصباح ذهب جونغ كون مع بعض من أهل القرية ليسقطوا صخرة ضخمة في الحفرة، مما يؤدي إلى إنهاء حياة الحيوان. في ذلك اليوم حدثت جلبة في القرية مثل يوم القيامة. عند وصولهم إلى فناء المنزل مع الحيوان الميت الذي جلبوه بعد إخراجه من الحفرة، كان الفناء محتشدًا بالناس، ومنهم فلاحون من قرية موي ري البعيدة على مسافة عشرة ري. استمر الناس في ثرثرتهم الصاخبة على مدى نصف يوم قائلين إنهم سمعوا حكاية عن أحد أجداد جونغ كون الذي قد أمسك نمرًا بيديه، وأمسك اليوم أحد أحفاده بدب. وفي نفس اليوم جاء أحد تجار البقر من تشانغ مال ليشتري الدب، وقيل إنه ذبح الدب في مسلخ وأخرج مرارة الدب الكبيرة. لذا، استطاع جونغ كون القبض على مال يكفي لشراء بقرة تقريبًا. فغار منه شباب قرية نام آن ري قائلين إن صيد دب أحسن من العمل في الحقول طوال سنة كاملة.

اختفى أثر جونغ كون بالكامل في ذلك اليوم. قبل غيابه، طلب

منه بعض من أهل القرية أن يشتري الخمر لهم بمناسبة الصفقة المربحة زاعمين أنهم ساعدوه في نجاح الصفقة. ولكنه لم يشرب قطرة من الخمر، بل تجول باستمرار في السوق التي كانت الثلوج البيضاء متطايرة فيها كأنه لا يريد العودة إلى البيت، ثم اختفى بالفعل. لم يعد إلى البيت حتى بعد مرور عدة أيام. قال باك دونغ لنفسه: أخيرًا قد هرب. بالتأكيد خرج إلى الشارع الواسع ليسافر إلى كانغ رونغ أو سيول. لم تظهر دهشة على وجه باك دونغ كأنه يرى حدوث ذلك شيئًا طبيعيًّا، ولكنه بدا منهكًا. قد عرف أن جونغ كون كان يبحث في خطة الهروب خلال فترة طويلة ويعد هذا وذلك لتنفيذها. وكان صيد الدب مجرد فرصة جيدة جاءت إليه في وقت مناسب، وتمكن فيها من إعداد المال للسفر. إذا لم يمسك الدب كان سينتظر حتى ينتهي موسم صيد طيور الدراج. فكر باك دونغ هكذا، متذكرًا كلام جونغ كون الذي سمعه وتصرفاته التي رآها أثناء جلوسهما في غرفة الضيافة. وتساءل باستغراب: لماذا هرب الآن من القرية المألوفة التي عاش فيها منذ صغره؟ على الرغم من اعتقاده أن جونغ كون عليه أن يغادر القرية لسبب ما، فشعر بالأسف على أنه لم يسأله عن ذلك السبب.

كانت السيدة سونغ صامتة وراقدة في غرفتها دون أن تقول شيئًا عن اختفاء جونغ كون. في كل مرة تحدث زوجها فيها عن ذلك الأمر وهو يتساءل: «ما الذي خاف منه؟ ما الذي لم يعجبه؟ وما الذي يجعله يكره البيت؟». حولت السيدة سونغ الراقدة

ظهرها إلى زوجها صامتة دون أي تغير في وجهها ليواجه وجهها حائط الغرفة، ثم دفنت وجهها في كم قميصها الفضفاض متنهدة كأنها تعاني من الأوجاع. قال زوجها لها إن جونغ كون لم يظهر أي اهتمام بأي شيء، وبدا قلقًا على شيء ما منذ عودته من جبل أودي، فلم يستطع أن يفهم تصرفاته. ثم سألها ما إذا عرفت سبب ذلك. فقامت السيدة سونغ فجأة من فراشها وكأنها تضايقت من كلام زوجها الذي لا ينتهي، وخرجت إلى المطبخ الذي لا ينتظرها فيه أي عمل. لم يستطع جيدو أن يفهم تصرف زوجته تلك أيضًا، مما جعله يغضب من نفسه قائلًا: اللعنة! لماذا يغضب كل شخص في هذا البيت؟ هل كل شيء خطئي؟

في نهاية ذلك العام عندما انتهى الشتاء تقريبًا أنجبت ست أونجو بنتًا في غرفتها الصغيرة في تشانغ مال. مع أن جيدو لم يسعد بذلك، فلم ينس الذهاب إليها مع الأرز والأعشاب البحرية الجافة الخاصة بالشوربة لتخفيف التعب بعد الولادة؛ لأن زوجها الحداد العاجز عن كسب اللقمة كان قلقًا على إعالة أسرته، لم يكن ممكنًا أن يرفض هدية جيدو. شعر جيدو بالشفقة على وضع ست أونجو ظنًّا أنه إذا لم يتحسن الوضع فلن يكون لهما مفر من أن يديرا حانة لبيع الخمور. الآن لم يجد أملًا إلا في زوجته الأولى التي ستنجب قريبًا، فتوصل إلى إدراك متأخر أن الزوجة الأولى لم تخدعه، ولكن للأسف لم يعرف أن حتى ذلك الإدراك سيخونه.

في شهر مارس في الربيع الذي بدأ الطقس يبدو دافئًا فيه، رزقت السيدة سونغ أيضًا، وكان ذلك بعد مرور ثلاثة أشهر على ولادة ست أونجو. كان ولدًا جميلًا كما تنبأ العراف من تشانغ مال. في ذلك اليوم كان جيدو في بيت العجوز كانغ، رجل مسن يسكن في القرية المجاورة، والذي قد طلب مساعدته في ولادة بقرته. كان جيدو ناويًا أن يستعير بقر العجوز كانغ ويذهب معه لشراء الملح. ركض باك دونغ إليه وأبلغه عن اقتراب ولادة زوجته، فنسي أمر البقرة وأسرع الى البيت. في الساعة العاشرة تقريبًا صباحًا عندما تدفقت أشعة الشمس المشرقة على الفناء غمره صوت البكاء القوي الذي لا يمكن إلا أن يكون صوت مولود جديد. بدت الديوك التي كانت تنقر حبوبها في الفناء، كأنها تصغي بعناية إلى صوت البكاء، وعُرف كل منها أحمر مستقيم. بينما كانت السيدة هيون التي تمتلك بعضًا من الخبرة، تعتني بالمولود جالسة بجانب السيدة سونغ وهي تغطي المولود العريان بالحفاضات. أشعلت والدة جيدو العجوز النار بصعوبة لإعداد شوربة الأعشاب البحرية الجافة، وهي تبتسم ابتسامات كبيرة مستمرة. كانت زوجته راقدة واهنة على حصيرة من القش كأنها مغمى عليها نتيجة لأول ولادة لها في منتصف عمرها. ولكن السيدة هيون قالت لجيدو إن صحة زوجته جيدة لأنها لم تواجه معاناة كبيرة على الرغم من كونها أول ولادة لها. «ولدك كبير وثقيل مثل ثمرة قرع كبيرة كاملة النضج» عندما سمع جيدو قول

السيدة هيون انبسطت أسارير وجهه تلقائيًّا. «هو أجمل من أبيه سبع مرات. سيصبح أقوى رجل في القرية. بالتأكيد سيسعدك». دفعه كلام السيدة هيون المتملقة إلى أن يثرثر مثل طفل ساذج: «هل هذا الحظ العجيب هو ما حدث لي حقًّا؟ من المستحيل أن يأتي حظ اليوم هذا إليّ كأنه نزل فجأة من السماء... لا أستطيع أن أصدق». «يجب ألا تنطق بأشياء سخيفة في مثل هذا اليوم السعيد.. لماذا لا تصدق؟ إن هذا الولد القوي من لحمك ودمك. أعطته ربة الخصوبة متأثرة بإخلاص زوجتك في القيام بالصلاة لمئة يوم. فعليكما أن تربياه بكل عناية». قالت السيدة هيون وهي تصب بعضًا من الأرز الأبيض في كيس قطني، ثم علقت الكيس في أحد أركان الغرفة قائلة إنه من أجل ربة الخصوبة.

سمى جيدو ابنه الوحيد الذي رزق به في سن متأخرة من العمر، بـــ»مان دوك». تجول في كل مكان من القرية مكررًا نطق اسمه بفخر. حسب طلب العجوز كانغ، دعا جيدو الناس إلى غرفة الضيافة للاحتفال بولادة ابنه. عندما تغيرت وجوههم إلى اللون الأحمر الخفيف لم يبخلوا عليه بالإطراء قائلين إن الوليمة رائعة، وليس أقل من حفلة للزفاف لدرجة أن يذبح حتى خنزيرًا. وعندما مدحه بعض من المدعوين المتعلمين مقتبسين حكمة قديمة تقول إن الفضائل تجلب بالضرورة أيامًا سعيدة، قال جيدو لهم بسرور إنه سيقيم حفلات أخرى لهم من حين لآخر في الأيام المقبلة، وآنذاك شعر جيدو كأنه شخص خير، ولكن سعادته هذه

اختفت فجأة وجاء يوم مخيف.

مع حلول شهر إبريل بدأ جيدو في الاستعداد لرحلة الملح إلى مونماك. وتذكر ست أونجو بشوق أحيانًا وهو يدرب البقرة المستعارة من العجوز كانغ على السير ويضع الفول في الأكياس. مع مرور شهر من الولادة استطاعت زوجته بالكاد أن تنهض من فراشها وتجلس، ولكنها شربت يومًا مياه الملح مرة ثانية بسبب لا يعرفه. عندما فكر في صورة زوجته التي كانت قلقة دائمًا وفي محاولتها الثانية للانتحار، أدرك أخيرًا أنها تعاني من عذاب غير بسيط، مما انتهى به إلى ما يفزعه. ولكنه لم يجد فرصة للكشف عما يفزعه؛ لأن المولود مات فجأة وعمره شهران فقط. كان ذلك صدمة قاسية لا يمكن أن يخلصه منها حتى شفاء زوجته من الموت. نظر إلى ابنه الميت الذي لم يعش إلا شهرين، ثم نظر إلى زوجته التي لم تظهر على وجهها ملامح الحزن على الرغم من انتهاء حياتها كأم، بل إنها كانت ترقد بهدوء وكأنها تشعر بالراحة متخلصة منه. وآنذاك ثار فجأة شك مخيف في نفس جيدو. تساءل ما إذا مات ابنه المولود من مرض حقًّا كما زعمت أمه. حالما خطر على باله التساؤل المروع تلاشى الحزن واقشعر جسده من الخوف، فخرج من الغرفة باندفاع كما لو أنه محموم. أراد الهروب من مواجهة ذلك الشيء المروع. فكر أنه سينهار مخنوقًا على الفور لو بقي هناك ليواجه ذلك. فغادر القرية بلا لحظة واحدة من التردد ليتجه إلى مونماك مع البقرة التي

على ظهرها أكياس من الفول الجاف. مع أنه لم يختلف مظهره عما كان في السنوات السابقة فإن قلبه تمزق من الألم الشديد الذي تسببت فيه الأحداث المتقلبة التي عانى منها خلال السنة الماضية. لم يستطع أن يتحمل البقاء في البيت دقيقة فغادر حالًا. هل سيعود مع أكياس الملح كما فعل في السنوات السابقة؟ لم تكن لديه إجابة على ذلك.

– لماذا تحدث الأشياء المروعة دون توقف هذا العام؟ ربما قصرت حياتي عشرة أعوام. ماذا سيحدث لهذا البيت؟ هذا البيت بلا رجل... يا ليت والد ابني يرجع حالًا.

قالت السيدة هيون ذلك في الغرفة التي بقيت فيها مع السيدة سونغ، وأثناء قولها هذا شعرت بتعب وفتور وبدا ذهنها مشوشًا وكأن مؤخرة رأسها ضربت بالأحداث الفظيعة المتتالية.

– أريد أن أموت حالًا لكي ينتهي كل شيء، لا أعرف لماذا تستمر حياتي بعناد؟ حياتي الآن هي ألد عدو لي.

بعدما تمتمت السيدة سونغ كأنها تقول لنفسها، أمسكت يد السيدة هيون بشدة ونظرت إليها نظرة متألمة.

– بينك وبيني فقط.. لا توجد امرأة أشر مني في العالم... إذا قلت لك فستسقطين مصدومة على الأرض، فلا أستطيع أن أفعل.

أمسكت السيدة هيون بيدها بقوة أيضًا بوجه هادئ يدل على

أنها قد عرفت ما ستقوله السيدة سونغ ولو لم تقل، وقالت:

– من الأحسن أنك لا تتحدثين عن أشياء قد تجلب المشاكل. أعتقد أن ما ستقولينه هو ما أخمنه.

– يا زوجة ابن عم زوجي، أنا مرتاحة بعد أن مات المولود. إن زوجي أكثر شخص مثير للشفقة في العالم... المولود هو.. لم يكن ابن زوجي.

– كفى. أنا أعرف كل شيء. كنت أعرف سبب هروب جونغ كون وغير ذلك.

– أكنتِ تعرفين؟ حاولت إرضاء زوجي ولو بابن الحرام، ولكن لا توجد فائدة. يبدو أنه ليس من نصيبي. أنا امرأة ارتكبت خطيئة مروعة. لا أعرف لماذا لا يضرب البرق رأسي لينهي حياتي. أتمنى بكل قلبي أن يحدث لي ذلك...

توقفت السيدة سونغ عن الكلام وسقطت على أرضية الغرفة وانفجرت في البكاء. فأغمضت السيدة هيون عينيها الغارقتين في الدموع بشدة وهي تشعر بحزن وضيق من مصير السيدة سونغ البائس.

هل كان هذا هو التساؤل المروع الذي خطر على بال جيدو قبيل أن يغادر البيت مع البقرة دون تردد من أجل شراء الملح؟ هل ترك البيت في عجلة دون أن يلقي أي سؤال إلى زوجته لأنه

كان يشعر بكل شيء دون سماعه إلى اعتراف زوجته.

بعد أيام، انتشرت إشاعات عن جيدو في القرية. اجتمع شباب القرية وثرثروا.

– هل يرجع إلى القرية مع عروس شابة على ظهر البقرة كما فعل في السنة الماضية؟

– لن يدخل القرية أبدًا نظرًا لشخصيته. كانت عائلته شريفة ولكنه يعاني من متاعب شديدة بسبب عدم إنجابه.

– إذًا، كيف سيكون بيته؟ وحقوله وجبله ومواشيه التي بذل أقصى جهد للحفاظ عليها؟

أظهروا اهتمامهم كأن ذلك شأنهم.